التربية بقراءة النصوص

٢- احفظ الله يحفظك

تقديم
أ. ناهد بنت عيد السميري
غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهرلكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفرالله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله -عزَّ وجلَّ- حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل السنة صدقًا، نتابع سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- نتعلمها ونفهمها ونسير عليها ونربي عليها أبناءنا وتكون هي بالنسبة لنا السراج المنير.

فإن هذا الرسول الكريم أرسله الرب العظيم هداية لهذه الأمة، وهذه الأمة إذا تمسكت بما أتى عن رسولها نجت، وإذا تركت التمسك ضلّت. وما لنا في الحياة إلا أن نسير في طريق دلّنا عليه هذا الدين، فإذا أحسنّا التمسك بهذا الطريق نجونا وإذا لم نحسن هلكنا نعوذ بالله من الهلاك!

نحن في هذه الجلسات كنا نناقش مسألة سميناها:

(التربية بقراءة النصوص)

وكان مقصدنا -وهذا المقصد لابد من تكراره دائمًا ما دمنا سنناقش نصًا ونتكلم عن التربية-:

التعبد لله بالاستغناء بالكتاب والسنة عن أي منهج تربوي

وهذا أمر يدخل تحت قول النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»[١]

ذكر البخاري فقال: "ليس منا من لم يستغنِ بالقرآن".

(يستغنِ به) أي: يصبح غنيًا به فلا يحتاج في أي أمر إلى كتاب أو إرشاد في غير القرآن وفي غير سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وعندما نقول: "القرآن" نقصد القرآن والسنة معًا.

وهذه المسألة لابد أن تأخذ وقتًا في الفهم وخاصة لمن تحملوا مسؤولية التربية من آباء وأمهات ومعلمين ومعلمات. ما دمت تواجه التربية لابد أن تتحمل مسئوليتها لأن بينك وبين هذا الذي تربيه مواقف وتصرفات وردود على هذه التصرفات...مآزق كثيرة نمر مع هؤلاء بها لا نعرف كيف نتصرف أو ماذا نقول!

أسئلة كثيرة يسألونا إياها ونراه تعدى الحد في السؤال والحقيقة أننا نحن من تعدينا الحد في الجهل! لأن غالب الأسئلة التي يسألها مادامت تنتج من فطرة سوية؛ إذًا في الشريعة ما

(١) أخرجه البخاري (٧٥٢٧).

يجيب عليها. إلا إذا حدث عنده انحرافات فهذا يحتاج إلى شيء زائد من التفاهم.

لابد أن نتفق: أنا الآن مُربٍ لأني أم أو لأني معلم، هذا يستلزم مني لزومًا أن أتعلم الكتاب والسنة وأنظر إليهما كمصدر وحيد - وهذه كلمة مهمة- للإرشاد الموصل إلى النجاة، فلا نجاة إلا من خلال تعلّم الكتاب والسنة وجعلهما منهجًا نربي به أبناءنا.

يوجد الحمد لله اعتناء بالكتاب والسنة خصوصًا الآن يوجد مدارس تعلم القرآن وهناك مدارس تهتم بنشر سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلم- لكن المشكلة أنّ كل هذا يقف على حد قراءته وفهمه المجمل.

نحن نريد أن نخطو خطوة بعد هذا، نريد أن نصل من خلال كلام الله -عزَّ وجلَّ- وكلام النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى منهج تربوي، منهج تربوي يعني: خطوط عريضة أعرف أن هذه الأشياء مهمة لابد أن يسمعها الصغير، هذه الأشياء لابد من بيانها بالتفصيل. وهذه الكلمات جواب لأسئلة يسألها، هذه الجمل من الكتاب والسنة تفسير لأحوال يسأل عنها هذا الصغير فيصبح الكتاب والسنة بالنسبة لنا مصدرين لمنهج التربية.

عندما تخلينا عن هذا، ماذا كان البديل؟

البديل أن كل يوم يأتيك فكر من الشرق والغرب يقول: (هذا منهج تربوي)، (هكذا ربّي أبنائك)! ويرشدونك على حسب تفكيرهم ومقاصدهم. على حسب نظرتهم للكون. على حسب الأولويات عندهم، طبعًا الإنسان عندما يربي أبناءه سيربيهم على أي أساس؟ على أساس فكره الذي يخصه. فإذا كان الكفار ما هم إلا عمّالًا للدنيا ليس لديهم غير هذا ويفنون أعمارهم لتصلح دنياهم. فكيف سيربون أبناءهم؟ على نفس الهدف الذي يعيشون له. هم عمّال للدنيا يفرحون بوجودها ويسخطون لفقدها، عمّال للدنيا لا يرون الدنيا إلا فرصة للشهرة، للمال، للَّذة. هكذا يرون الدنيا، فعندما يرون الدنيا بهذه الطريقة فعلى أي شيء سيربون أبناءهم؟ سيربون أبناءهم على الاستفادة من كل فرصة للَّذة. على الاستفادة من كل فرصة للمال حلالًا كان أو حرامًا، لا يهتمون بالحلال والحرام!

المهم عندهم أنهم ينظرون إلى الدنيا بهذه النظرة، ومن المؤكد أن الذي ينظر للدنيا بهذه النظرة سيربي أبناءه على هذه النظرة،

وهذا لا يختلف عليه اثنان. فأنت كيف ترى الأشياء؟ بالطريقة التي ترى بها الأشياء ستربي بها الأبناء.

فعندما يصف الله أحدًا في كتابه بأنه شر البرية، ثم هذا شر البرية يكتب قواعدًا للتربية، يأتي خير البرية الذين يعرفون الله ويعرفون دين الله يأخذون من شر البرية طرق التربية! ماذا سيُخرّجون خير البرية؟ من المؤكد أنهم سيخرّجون شر البرية!

ولذا بعد هذه الموجة التي مرت ثلاثين سنة أو أكثر أو أقل وظهر الالحاد وظهر التشكيك وظهر ترك الصلاة -ظاهرة- والاستهزاء بالدين، وأول ما خرجت وسائل الاتصال خرجت أمراض القلوب لأنهم كانوا متسترين وراء أسماء كما يريدون. وخرج ما خرج! وكلّما تمكنوا كلّما خرج منهم ما خرج. من أين خرج؟ هذا حصاد، حصاد لهذا النوع من التربية!

إذًا الآن لابد أن نجتمع كلنا على مفهوم واحد: أن مسئولية التربية التي تحملناها اختيار. أباء وأمهات لديهم أبناء هذه مسئولية، معلمون ومعلمات لديهم مسئولية، الأبناء الذين تحت أيديكم خصوصًا في الزمن الذي هم جاهزون فيه للسماع، في الزمن الذي لم تنتقل المسئولية مني لهم في التربية، هذا الزمن

لابد أن يُملأ بحقائق الكتاب والسنة. هذه الحقائق تختلط بقلوبهم وتُفسر بها المواقف ويوجّه هؤلاء الصغار في كل المواقف حول هذه الحقائق.

لا نقصد بهذه الحقائق أن ابنك يمسك الحديث يحفظه. هذه خطوة مهمة -أن يحفظه- لكن كيف يفكر وكيف قلبه يتأثر بهذا الحديث؟ كيف مفاهيم الحديث تفهمينها أنت وتجعلينها قواعد للتربية معهم.

فهذا هو المقصد من الكلام حول التربية بقراءة النصوص:

أن تقرؤها وتفهمها جيدًا ومنها ستخرج بقواعد وتوجيهات وكلمات محفوظة توّجه بها هذا الذي تربيه.

هذا النوع من التربية ماذا سيفعل؟ سيلفت نظرنا إلى أن الشريعة كاملة في كل باب، يلفت نظرنا إلى أننا لسنا بحاجة إلى أن نجتر ما تخرجه الثقافات الأخرى، نحن لسنا بحاجة لا إلى أهل الشرق ولا الغرب، لسنا بحاجة إلى أن نأتي لمن جعلهم الله شر البرية فنقبل أن يكونوا عندنا خير البرية، أنت لست في حاجة إلى هؤلاء كلهم. وما زلنا نكرر على أنفسنا: أن الله -سبحانه وتعالى- عندما خلق الأرض وخلق الخلق. خلق الخلق وخلق

الأرض لهم، وجعل إعمار النفس هو المقصد وإعمار الأرض أحد وسائله. فنحن نأخذ إعمار الأرض بما يناسبنا من أي مكان لكن عندما نريد أن نقوم بوظيفتنا وهي: إعمار النفس بالإيمان والتقوى فمحرم علينا أن نأخذ من غير الكتاب والسنة، ممنوع، جريمة. الله -سبحانه وتعالى- أنزل الكتاب وأرسل الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- من أجل أن يهتدي قلبك إلى الصواب. أنت لست بحاجة لأن تأخذ من غيرهما. وإذا خرجنا من كل هذا النقاش إلى أننا لسنا في حاجة أن نأخذ من غيرهما، فتكفينا هذه النتيجة؛ لأن الهزيمة النفسية الموجودة في أعماق المسلمين تجعلهم يأخذون رجيع هؤلاء الكفار من الأفكار! يكونون هم ألقوا هذه الأفكار في مزابلهم وتبيّن لهم باطلها ثم نأتي نحن نأخذها منهم فرحين بها ونطبقها. ونأتي في كثير من الأحيان نقيس النتائج على أهوائنا! حتى في قياس النتائج يوجد باطل. وفي أحيان كثيرة غالب الذي يطبق هذه الأشياء لا يبحث عن قياس النتائج. فقط يغتر بفرح الناس بأي طريقة جديدة ويقبلها ويرى نفسه قد أثمر!

على كل حال هذه النفوس التي نملكها نحن بين جنبينا أمانة في أعناقنا. ويزيد الأمر خطرًا عندما أكون أنا معلم أو مُربٍ لغيري

يزيد خطرًا وكل واحد من هؤلاء الذين نربيهم سنُسأل عنه عند الله وسنُحاسب عن كل واحد منهم: ماذا فعلنا في فطرته السوية؟ لقد أتى إلينا وهو جاهز للإرشاد إلى الطريق المستقيم، أتى هذا الصغير وهو جاهز للإرشاد إلى الطريق المستقيم. فإذا وجهناه للطريق الغير مستقيم تكون مسئوليتنا مئة بالمئة! ولابد أن نفهم هذا ونتحمل المسئولية ونتدارك ذلك ما استطعنا إليه سبيلًا.

على كل حال. هذه المسألة قدر ما هي كبيرة ويدخل فيها كل الناس الذين يربون، قدر ما كل شخص منّا له نصيبه ومسئوليته في ذلك. نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى ونكون حقًا من أهل السنة لسنا كاذبين. فإن المنافقين قال عنهم ربنا -سبحانه وتعالى- في أول سورة المنافقون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1] لماذا هم كاذبون، مع إنهم قالوا إنه رسول الله؟ نعم، هم قالوا إنه رسول الله ولكنهم:

- لم يوقروا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.
- لم يقفوا عند ما قاله رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

(١) المنافقون: ١.

- لم يكتفوا بما أتى به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.
- لم ينكبوا على ما أتى من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

فقال الله تعالى عن شهادتهم إنها كذب.

وعلى ذلك؛ فإن هذه الآية العظيمة التي في سورة المنافقون كلنا نقيس أنفسنا عليها! هل أنا صادق في شهادة أن محمدًا رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- ولا آخذ الحق إلا بما أتى به رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- أم أنا مشتت وآخذ من هنا ومن هنا، ولا بأس أن أدخل هذا في هذا! وكثير من الأعذار تأتي تقول: (إن الحكمة ضالة المؤمن) -مثلًا-، (اطلب العلم ولو في الصين)! والحق أنك لا تحتاج أن تذهب إلى الصين ولا الحكمة ضالتك! لابد أن تطمئن بأن الحكمة ما ضلّتنا ولا ضاعت علينا ولا نحن محتاجون أن نأخذ العلم من الصين. بل ما أقربه وأيسره وأوفره خصوصًا وأنك صاحب لسان عربي مبين. وهذا الكتاب وهذه السنة أتيا بلسان عربي مبين. فلا توجد أعذار ولا تشتيت للنفس بعيدًا عن هذا المنهج. ولابد أن نتفق كلنا على ذلك لكيلا نصل في النهاية أن نكون سببًا لأوزار يوم القيامة، فالناس يوم القيامة عندما يخرجون من قبورهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وأوزار

من أضلوهم! فهذه هي الأزمة. فلا يكفينا عملنا بل أيضًا أوزار الذين نضلهم فهذه مصيبة كبيرة! فمن أجل ذلك لابد أن تقف التربية عند النص، والنصوص هي المصدر للإرشاد فلا تتوه، والحياة هنا عبارة عن طريق تسيره وعلى هذا الطريق إرشادات مكتوبة وهذه الإرشادات المكتوبة إذا قرأتها جيدًا ستسير في الطريق المستقيم. أما إذا لم تقرؤها جيدًا سيكون نهاية الطريق: إما أن تقع في وادٍ سحيق، أو تقع في بحر محيط، أو تقع في مستنقع من القاذورات! وهذا واضح جدًا؛ لأن الناس يبتدؤون في الصغر متفقين ثم بعد ذلك ينقسمون ثم يبتعدون وتراهم في كل وادٍ يهيمون والسبب: أنهم لم يقرؤوا الحياة كما ينبغي، لماذا؟ لأنهم لم يعلمهم والديهم أو المربين لهم أن يقرؤوا الحياة كما ينبغي.

فهذه مسئولية عظيمة، الشرع لم يأتِ من أجل أن تقرؤه بلسانك ولا تعيشه بجنانك، الشرع لم يأتِ من أجل أن تجعله نصوصًا مكتوبة ومدارس مفتوحة وحياة أخرى تمامًا منفصلة عنه. لا يمكن أن يكون! بل مدارس مفتوحة ونصوص مكتوبة محفوظة في الأذهان، منقوشة في القلوب، يسير صاحبها عليها إلى

أن يصل بقلب سليم إلى رب العالمين، فإذا كانت هذه هي الحقيقة وجب الوقوف عند النصوص وبذل الجهود لفهمها.

هذه اللقاءات مجرد إنارة فقط ننير بها الطريق للناس، ثم تصبح هذه الإنارات بمثابة القواعد التي تمكننا بعد ذلك من أن نربي بالذي نسمعه ونفهمه ونستعمل نفس الطريقة في النصوص. يعني نفهمها ونستخرج منها ما يوصلنا إلى تربية أبنائنا. خصوصًا النصوص التي بها مخاطبة للصغار، من المفترض أن تجمع وتعرف ونرى كيف يخاطب النبي الكريم هؤلاء الصغار وبأي مفاهيم يخاطبهم.

حديثنا في هذا الاسبوع هو وصية النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لابن عباس -رضى الله عنهما- وهذا الحديث مشهور بأوله الذي فيه: «احفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ» سنقف على الحديث جملة جملة. ليس المقصد بيان معاني الحديث بالتفصيل، المقصد: الخروج من جمل الحديث بقواعد تربوية.

الحديث مشهور ونحن لا نختار في اللقاءات إلا الأحاديث المشهورة المفهومة على الإجمال. لا نريد أن نشرح الحديث

بالتفصيل، لكن مرادنا: أن نخرج بالحديث بأي شيء؟ نقرأ جملة جملة ومن الجمل نخرج بقواعد في التربية.

بدأ الحديث بقول ابن عباس -رضى الله عنه- و لابد أن تعلموا أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- توفي وابن عباس لم يناهز الحلم. لم يناهز الحلم يعني سيكون عمره أقل من اثني عشر عامًا ومع ذلك يُخاطَب بهذه المخاطبة.

يقول: «كنت خلف رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- يومًا» الظاهر أنه كان رديفًا للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وكان خلف النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يجلس على دابة.

«كُنْتُ خلفَ رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- يومًا فقال: يا غلامُ إنِّي أعلمُكَ كلماتٍ»

قبل أن ندخل في الكلمات سنبدأ بهذه الأربع كلمات التي قالها النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ونرى كيف تدلّنا كل كلمة على منهج تربوي.

أولًا: يناديه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول له: «يا غلامُ» فمعنى ذلك أن هذا الطفل الصغير تُوَجَه إليه التربية مباشرةً

بالخطاب، يعني يخاطب الصغير بالحقائق بدون مواراةٍ بمعنى لا تقل: (إنه لا يفهم ما أقول له)! بل يفهم ما تقول، تناديه مناداةً وتخاطبه مخاطبةً وتهتم به.

ثانيًا: لاحظ أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول: «إني» يعني هو -صلَّى الله عليه وسلَّم- مع انشغاله ومسئوليته وما عليه للأمة حوله من تبعات ومع ذلك هو بنفسه -صلَّى الله عليه وسلَّم- يعلمه!

«يا غلامُ» يعني والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- الكريم الذي له المنزلة العظيمة، قائد الأمة، ماذا يفعل؟ يعلم الغلام كلمات بنفسه -صلَّى الله عليه وسلَّم- فلا يوجد أي سبب يجعلنا بعد النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- الكريم ننحجز عن هؤلاء الصغار ومخاطبتهم مباشرة، لابد من الخطاب المباشر والعناية والاهتمام.

النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- مع مكانته العظيمة لكن يخاطبه مباشرةً ويقول له: «يا غلامُ» يعني النبي الكريم والطفل الصغير، ومع ذلك يُخاطَب مباشرةً وينادى ويقال له: «يا غلامُ».

ثالثًا: «أعلمُكَ» وهذا معناه أن التعليم من مسئولياتنا إذا أردنا بناء العقيدة. يعني العقيدة التي سنتناقش فيها الآن والتي أتت في جمل الحديث تحتاج منا تعليم. لابد أن نعلمه العقيدة تعليمًا. وهذا سيقول لنا في الهامش: "إن العقيدة ليست مثل السلوك، فإن السلوك يحصل معه التقليد" بمعنى أن الأطفال قبل أن يصلوا السنتين تراهم يركعون ويسجدون في بيت قوم مصلين. لماذا؟ لأنه سلوك وهم يقلدون السلوك. هذا إذا أتينا في السلوك.

أما إذا أتينا للعقائد التي مستقرها القلب فلابد فيها من التعليم المباشر وإن كان يصل للصغير من عقائدك شيء كثير، لكن الشيء الكثير هذا يسقط منه الشيء الأكثر إذا لم تخاطبه مباشرة.

مرة أخرى الآن نحن عندنا الدين: عقيدة وسلوك.

السلوك: يمكن نقله بالتقليد. نصوم رمضان يكبر ويفتح عينه ويجدنا نصوم ونقول له: (هيّا صُم.) فيفهم ما هو الصيام بمجرد أن يراك.

لكن الفزع إلى الله وقت الخوف هذا مبني على معرفة أن الله قريب، على معرفة أن الله قوي، على معرفة أن الله هو الركن الشديد. هذه الأمور لا تنتقل من قلبك إلى قلبه إلا عن طريق التعليم. لابد من التعليم بمعنى: أن العقائد لا تشبه المسالك، المسالك نقلها يسير عن طريق التقليد. والعقائد تستلزم منا مخاطبة واضحة وتعليم.

وهذا لا يعني أن كل العقائد لا تصل. بل تصل بالمواقف، لكن إذا كان الطفل نبيهًا ينتبه. وأحيانًا ينتبه لكن لا يستطيع أن يفسر تصرفك إلا عندما يكبر، فالعقائد يتسرب الكثير منها إليه عن طريق الاحتكاك. لكن يسقط أكثر منها لأنه لم يحدث تعليم مباشر.

الآن عندما تقدّم له الطعام ويقول لك: (أريد أكثر.) مباشرة نحن نخاصمه نقول له: (لا تكن طمّاعًا.) يسمع هذه الكلمة ولا يعرف كيف يفسرها. لكن الذي يربيه على أن الأرزاق مقسومة وعلى أن الله هو الرزاق، على أن من رضي فله الرضا، نكلمه، نقول له هذه القواعد ولا نطمّعه في الدنيا، نقول له: (لا تطمع في الدنيا فهذه الدنيا لا شيء، فلن تأخذ إلا ما قسم الله لك) وكلّما

سمع وكبُر كلّما تفتّح ذهنه والمرة القادمة هو يُسمّع لك هذا الكلام إلى أن ينضج هذا وتُثمر هذه الشجرة من الكلمات المباركة التي تتصل بالعقيدة.

ولذلك النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال له: «إنّي أعلمُكَ» فلابد في العقيدة من تعليم مباشر هذا ضروري نقول له: (هذا ما نعتقده، هذا وصف ربنا، هذه معاملة الله.) وهذا سيكون واضحًا جدًا عندما نبدأ في نقاش تفاصيل الناس.

الان هذه ثلاث كلمات: «يا غلامُ إنّي أعلمُكَ».

رابعًا: «كلماتٍ» وهنا الوقفة لها أبعاد كثيرة نختصرها في كلمة واحدة: "الكلمات" يعني: اللغة. سيعلّم النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كلمات محبوس ورائها معانٍ عظيمة، لن يشرح له أمور كثيرة، بل سيعلّمه كلمات. هذه الكلمات عندما تكون معانيها تامة الوضوح في ذهنه -معانيها في اللغة واضحة- ماذا سيحدث بعد معرفة معانيها؟ ستنعقد مفاهيمها لكن عندما يكون هذا المسكين لا يعرف اللغة أو أصبح في طفولته ثنائي اللغة وأصبح يقول كلمة من هنا وكلمة من هنا. وعندما يريد أن يعبر عن معنى يتوه حتى يعبر لأنه ليس لديه ثروة لغوية، عندما تعلمه كلمات

مهما كانت الكلمات عظيمة لأنه ضعيف في ثروته اللغوية ستكون النتيجة: أن هذه الكلمات لا تنزل منازلها. هذه الكلمات حتى عندما يكبر لن يستطيع أن يحتفظ وراءها بمعانٍ. فيصبح حافظًا للكلام ولا يدخل إلى قلبه شيءٌ منه بسبب: **ضعف اللغة.** فنحن نرى ضعف اللغة مجرد ضعف في اللغة وليس له علاقة بالدين؛ وهذا الأمر غير صحيح؛ لأن الله اختار لكتابه لسان عربي مبين، لماذا؟ لأن الذي يكون صاحب لسان عربي مبين ويسمع كلام الله؛ يقع في سويداء قلبه، تقع هذه المعاني بكلمات مختصرة، كلمات مختصرة تدله على الطريق؛ هذا لو كان يجيد اللغة العربية، والمشكلة نحن الكبار بأنفسنا لا نجيد اللغة العربية ونراها أزمة الصغار بل هي أزمة الكبار أيضًا! وأنا لازلت أعيد هذا الكلام على نفسي وعليكم: فنحن نستسهل موقفنا مع اللغة العربية على أساس أنها مادة في المنهج وننسى أن الذي يقول: (أنا لا أحب اللغة العربية.) يقول: (أنا لا أحب لغة تكلم بها الله.) ننسى أن الذي يقول: (أنا لا أحب اللغة العربية.) ينسى أن هذه اللغة الله اختارها للرسالة وأنها لغة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- الكريم.

ينسى هذا ويقول بكل سهولة: (أنا لا أحب اللغة العربية) لأنه ما يتصور في اللغة العربية إلا الفعل والفاعل والإعراب! هذا الذي يتصوره، والصحيح أن هذا الذي تعرفه عن العربية هو مجرد وسيلة تعرف بها العربية، والمفترض أن يكون هناك بذل جهد وخصوصًا من الذين يحفظون كتاب الله. والذي يُقلق أن الناس المستقيمين يرون أنفسهم أنهم عندما يجيدون كلمة أو كلمتين في اللغة الأجنبية ويتكلمون بها؛ يشعرون بمشاعر الفخر. هذا الذي يعذّب هذا الذي يأتي بمصدر الخوف على مستقبلنا مع القرآن والسنة، أن الذين يحملون القرآن والسنة قد يرون فخرهم في أنهم يتكلمون كلمة أو كلمتين من هنا أو من هناك! مصيبة كبيرة، نحن مصدر فخرنا هو القرآن واللغة التي يحسدنا الناس على أننا من أهلها.

على كل حال. لابد أن تتصوروا -وإن كان المقام لا يسمح بكل هذا التفصيل- ماذا تعني اللغة في الفكر، ماذا تعني اللغة في الشخصية، إلى أي درجة لغة الإنسان هي التي تؤثر في تفكيره وفهمه، إلى أي درجة لغة الإنسان سبب لوصوله إلى الحق، والله -سبحانه وتعالى- لما تحدى الكفار تحداهم بهذه اللغة. فأنتم من

أهل هذه اللغة فأتوا بمثله؟! وهذا هو الاعجاز في القرآن. لذلك عندما يأتي أحد يقول لنا: (أنا لا أرى أي إعجاز في القرآن أين الاعجاز فيه؟!) طبعًا سيقول ذلك ويشكك في نبوة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وفي إعجاز القرآن. لماذا؟ ما هو السبب؟ السبب: أن الاعجاز الحقيقي الذي نزل به القرآن هو الاعجاز المتضمن للغة، فماذا كان السلاح؟ السلاح أنهم أولًا يسلبون منكم اللغة ثم يأتون يقولون: (أين الاعجاز في القرآن؟) كما فعلوا معنا في الموقف من السنة. ماذا يفعلون؟ يطعنون في الصحابة ويختارون خاصة أبو هريرة في الطعن. ثم يتحولون إلى البخاري. ثم يقولون: (إن هذه السنة ليست ثابتة؛ لأن الصحابة مشكوك فيهم وأبو هريرة ليس صادقًا في نقله، والبخاري جمع من أجل السياسة!) فهذا نفسه تسييس حتى تسقط من قلوبنا قيمة ما نحمل. لكن لا تنسوا أبدًا قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1] لا تنسوا أن الكافرين يكرهون الإيمان والدين. لا تنسوا هذا وتسلموا قلوبكم لأهل الكفر ليذهبوا بكم يمنة ويسرة! هم يكرهون التوحيد! الله قال لنا إنهم يكرهون التوحيد ويكرهون من يحمل التوحيد؛ لذلك بعدما

(١) غافر: ١٤.

انتهى الاحتلال المباشر أتى الاحتلال الفكري. وأول الاحتلال الفكري: نزع اللغة، فلا أحد يحتل أحدًا فكريًا إلا عندما ينزع منه لغته.

وهذا ما حدث. وبعد هذا كله تأتي تقول: (أنا أشعر أن اللغة صعبة!) الصعب يسهله الله للصادق. فمثلما نستغيث بالله أن يصلح لنا شأن ديننا، فكذلك لنستغيث أن يصلح الله لنا شأن لساننا؛ لأن ديننا سينصلح من وراء صلاح لساننا.

والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول لابن عباس: «إنِّي أعلمُكَ كلماتٍ» فهذه الكلمات إذا كانت مليئة بالمعاني؛ ستكون النتيجة واضحة، أن هذه الكلمات ستغير في تفكيره، هذه الكلمات ستكون مرشدة له، هذه الكلمات ستصل به إلى النجاة.

المقصد أن هذه المقدمة التي نُقلت إلينا من كلام النبي الكريم -صلَّى الله عليه وسلَّم- كلها خير وبركة، كلها توجهنا إلى أن نهتم بأبنائنا، بغرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم وفي مخاطبتهم وفي بيان الحق لهم وفي تحفيظهم هذه الكلمات مع معايشة هذه الكلمات.

هيا نبدأ الكلام حول الكلمات التي قالها النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لابن عباس ولاحظوا أنه صغير ويُقال له هذه المفاهيم العظيمة.

المفاهيم سنقسمها إلى قسمين وأيضًا المفهوم الأول سينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: كله يدور حول معاملة الله، كيف يعامل العبد الله.

القسم الثاني: يدور حول الإيمان بالقضاء والقدر.

الان سنرى باختصار كيف الكلام عن المعاملة ثم نأتي إلى الكلام بالتفصيل، اليوم سنناقش الجزء الأول وغدًا سنناقش الجزء الثاني.

المعاملة واضحة جدًا في هذه الجمل: «احفظِ اللهَ يحفظْك، احفظِ اللهَ تجدْهُ تِجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ» في هذه الأربع جمل تظهر قواعد لمعاملة الله يعني النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يُعلّم ابن عباس كيف يُعامل الله. وهذه المعاملة لن تكون إلا بأفعال قلبية يعني أصل المعاملة لن

تبدأ إلا بأفعال قلبية. ولن يعامل من لا يعرف الله. لا أحد سيعامل الله إلا إذا كان يعرف الله. فماذا يقول النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لابن عباس؟ يقول له: (بهذه الطريقة عامل الله واعلم أن الله يعاملك بهذه الطريقة.) وهذا يعني أننا سنعلّمه أمرين:

- نعلّمه هو كيف يعامل الله.
- ونعلّمه كيف يعامل الله عباده.

ولو تبيّن للصغير كيف يعامل الله عباده فسيبدأ في ملاحظة المعاملة، ومن هنا يبدأ الثبات. يعني ماذا سنفعل؟

١- سنحتاج أن نعلّمه كيف يعامل الله.

٢- سنحتاج أن نبيّن له سنة الله في معاملته. وكيف يعامله الله.

ثم هو سيبدأ في المسألة الثالثة فيلاحظ المعاملة فيأتي الثبات.

يلاحظ المعاملة طوال الحياة فيأتي الثبات على الحق.

فإذا علمناه أن يحفظ الله وعلمناه أن الله سيحفظه إن حفظه. هو ماذا سيفعل؟ سيبدأ في ملاحظة أنه حفظ الله وأن الله حفظه فيثبت على الطريق.

وهذا هو الجزء الأول من نقاشنا في هذه المسألة. إن الحديث فيه جزئين: الجزء الأول: هو تعليم الصغير كيف يعامل الله وكيف يعامله الله. ثم الصغير سيصل هو إلى اليقين بعد زمن من ملاحظته ذلك، فماذا أفعل؟ دوري أن أُنير له، دوري أن أُرشده وهو بعد ذلك يخطو الخطوات التي بعدها.

فمعنى ذلك أن في نهاية الأمر ماذا يُنتظر؟ أن وراء هذه الكلمات ستُحشى عقيدة عظيمة هو جمعها من فهمه، من ملاحظته، من قراءته للأحداث التي تدور حوله؛ لذا لابد أن تصير هناك كلمات محفوظة، وهذه الكلمات المحفوظة يُحبس وراؤها معانٍ مشاهدة، ثم يأتي وراؤها تغير التفكير.

نضرب مثالًا بعيدًا ثم نعود للكلام حول الحفظ وما يتصل به:

هذا الطفل الآن عندما نعلمه مفهوم الرزق وأن كل شيء رزق، سنلاحظ أن هذا الصغير كالصفحة البيضاء، تكتب فيه وهو يقرأ ما تكتبه، تكتب وهو يحبّر على ما تكتبه، تكتب وهو يؤكد ما تكتب.

فتأتي مثلًا تُدخل عليه مفهوم الرزق. ثم تقول له: (إن كل شيء رزق والله هو الرزاق ويرزق الخلق، وإذا أردت رزقًا تطلبه

من الله.) كل هذه الكلمات التي تستعملها، ستفتح في ذهنه هذه الخانة وهي خانة الرزق. ثم يستعمل هذه الكلمة في المكان المناسب فيأتي يفسر الأشياء فيقول: (إني رُزقت، هذا ليس رزقي.) يعطيه أحد فيقول: (رزقني الله.) أو يمنعه أحد فيقول: (ليس رزقي.) وهكذا. فتمتلئ هذه الكلمة بالمواقف والأحداث إلى أن تصبح هي نافذة عينيه التي يرى بها الارزاق التي تأتيه.

إذًا هذه الكلمة، انظري كلمة واحدة يحبس ورائها معانٍ ومعانٍ. ويعيشها إلى أن تصير هي التي ينظر من ورائها لكل شيء، ويفسر الحياة بهذه الطريقة.

أما إذا تركناه تائهًا فمرة سيقول لك: (الحظ.) ومرة سيقول لك: (أنا ليس لي حظ.) ومرة يقول لك: (أنا أقل الناس عطاءً من ربنا.) وقد يتعدى فيتكلم عن الله وعن الظلم! وهذا التيه لا يأتي إلا حينما يكون ليس عنده كلمات يفسر بها الحياة. لا يعرف كيف يفسر الحياة.

فهو ماذا يحتاج؟ يحتاج أن يُعَلّم بالكلمات التي نُعلّمه إياها كيف يفسر الحياة؟ كيف يتعامل مع الحياة؟ كيف يفهم؟ كيف يفكر؟ كيف يحلل المواقف؟ عندما يرى نفسه دائمًا مظلوم،

عندما يرى نفسه أنه دائمًا مُعتدى عليه، يختلف عن إذا رأي نفسه أحسن ولم يُحسَن إليه لكن الله سوف يُحسِن إليه، والمرة التي يرى نفسه قد أُعتدي عليه، ومطلوب منه أن يصبر. يختلف أمرها عن المرة التي يرى نفسه قد أُعتدي عليه وليس عنده كلمة "الصبر" فلا يعرف لها مفهومًا. فيرى أنه لابد أن يعتدي على من اعتدى عليه!

إذًا هذه الكلمات ماذا يحدث من ورائها؟ يحدث من ورائها: حبس المعاني والتجارب وبها يرى الإنسان حقائق الحياة.

نبدأ مناقشة هذه الكلمة العظيمة وهي:

(احفظِ اللهَ يحفظْك)

وسنبدأ بمناقشة الجزء الأول وهو: عمل الإنسان في مسألة الحفظ. يعني أنت احفظ الله. كيف سيعاملك الله؟ يحفظك، ودائمًا هذه الكلمة تسلّط على الشيء الذي يتصل بالدنيا يعني حفظ الله سيكون لك في الدنيا.

دعونا أولًا نقول:

كيف سنحفظ ربنا؟

أنت الآن عبد، الله ينظر إلى قلبك. فالمكان الأول الذي يُراد منك حفظه: هو قلبك، وهذا معناه: أني عندما أُناقش الصغير لابد من لفت نظره عن مسئوليته عن حفظ قلبه، فأول شيء يُراد حفظه وبيانه له: أنت احفظ قلبك واعلم أن قلبك مؤثر على كل جوارحك. يكون الإنسان كبر ومارس الحياة وهو لا يفهم أن المعاملة من الله معه على أساس قلبه، ويقول: «أَلَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القَلْبُ.»[1] ومع ذلك لا يهتم بصلاحها!

فإذًا العباد قلوب ينظر الله إليها والمطلوب حفظها من كل دخيل. ثم بعد القلوب ماذا سيكون؟ سيكون بعدها الأعضاء والجوارح، والجوارح والأعضاء مطلوب أيضًا حفظها وسيكون حفظها تبعًا لحفظ القلب.

نبدأ الآن بالتفصيل نتناقش في حفظ القلب؛ -سأتكلم الآن عن النتيجة- لأن الصغار ما علموا أن مسئوليتهم حفظ قلوبهم ها هم يجعلون قلوبهم في كل وادٍ تهيم، ها هم يقلبون في صفحات

(١) أخرجه البخاري (٥٢).

الإنترنت وما علموا أن الواجب عليهم أن يحفظوا قلوبهم؛ ومن ثمّ يطلقون أبصارهم وأسماعهم وجوارحهم غير محفوظة ولا يعرفون أن من خلال هذه الأدوات ربما تدخل شبهة قلوبهم وما تخرج أبدًا إلى أن يموت الإنسان!

فإذًا في البداية لابد أن نعلم نحن الكبار أن الحفاظ على القلب يكون بمنع دخول الباطل عليه، تمنع دخول الباطل عليه، أي: تحصر نفسك في الحق. والحمد لله نحن لسنا بتائهين حتى نقول: (لا نعرف أين الحق.) ما يحتاج أبدًا أن تُدخل على نفسك الباطل ولو من باب التجارب!

فحين نرى وقائع الآن ويأتي أحد في مجتمعنا -الذي يؤمن بالقضاء والقدر- ويقرأ كتاب: "السر" الذي يتكلم عن قانون الجذب، وينسى تمامًا القضاء والقدر وما يتصل به، ويقول لك: (أنت تستطيع أن تجلب ما تريد من أقدار لنفسك!) وفي النهاية يقول لك: (هذه قاعدة نبوية النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- دعا إلى التفاؤل وهذا نوع من أنواع التفاؤل!) اسمع جيدًا:

- أما إذا كان هذا هو معنى التفاؤل أو أنت تقول إن كلامهم يعني التفاؤل؛ إذًا أنت في غنى عن كلامهم؛ لأن النبي -صلَّى

الله عليه وسلَّم- كلمك عن التفاؤل فافهم التفاؤل من كلام النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ومن نصوص الكتاب والسنة.

- وأما إن كان كلامهم في شيء آخر غير التفاؤل فأنت في غنى تام عن أن تُدخل على قلبك خطر يُشبّه عليك.

فالمشكلة هنا في هذه المسألة للصغار والكبار: أننا لا نشعر أننا سنحاسب عن تعريض هذه القلوب للأخطار. نحن سنحاسب عن تعريض قلوبنا للخطر. سواء كان هذا بقراءة أو بسماع أو برؤية ستحاسب على تعريض قلبك للخطر.

ولذا في ثقافة القراءة اليوم الناس يقولون لك: (اقرأ أي شيء أنت عندك عقل ناقد!) وهذا ليس صحيح لو قرأت أي شيء ممكن أي شبهة من الذي تقرؤه تقع في قلبك ما تخرج أبدًا! فهؤلاء الذين ألحدوا كيف ألحدوا؟! والذين وقعوا في مخالفة السنة كيف وقعوا؟! والذين دخلوا في البدع دخلوا بأي صورة؟! دخلوا بهذه الصورة؛ قرؤوا أي شيء وسمعوا أي شيء يأتي، أو أحيانًا لم يقرؤوا ولم يسمعوا! أحيانًا من كثرة الثقة أنهم عندهم كل الحق؛ يدخلون يناقشون هذا المخالف وهذا المبتدع فيلقي

المخالف شبهة ما تخرج من قلبه! أنت مسئول. ستُسأل يوم القيامة عن هذا القلب كيف تعرضه للخطر.

فلابد في المحافظة على القلب من أمرين:

١- تصفية موارده.

فأنت حافظ على قلبك كما تحافظ على بدنك، فلا يمكن أن تذهب فتشرب من ماء تعرف أن فيه سم أو كدر أو غير صافٍ. ستقول: (كليتي) وتقول: (معدتي) فتحافظ على بدنك فلا تشرب إلا من ماءٍ صافٍ وكذلك قلبك لا تشربه أي باطل، لا تسمح له أن يدخل إليه أي باطل. هذا من جهة. امنع قلبك من أن يدخل إليه أي باطل.

من الجهة الأخرى هو لن يكن صحيحًا بمجرد أن تمنع عنه الباطل. هو سيكون صحيحا أيضًا عندما تجمع مع منع الباطل:

٢- إدخال الحق.

فلابد كلّما مر على خاطرك مسألة لابد أن تبحث: أين هو الحق؟ تسأل أهل الحق، لا تذهب يمنة ويسرة في سؤالك، تذهب إلى أهل الحق فتسألهم، واليوم المسألة تمامًا بالعكس! فشيوخ

الصغار هؤلاء والكبار وشيوخ الشباب هو: النت! ولا تدري مَن وراء هذه الشاشات يتصرف في عقول الشباب؟!

سأضرب مثالًا: يخرج علينا المرجئة ويرسلون مقاطع بها حديث صحيح. الكلام الذي سأقوله الآن انتشر كثيرًا في مقطع: حديث في صحيح البخاري وهو صحيح لا إشكال فيه: (أن عثمان رضى الله عنه كان في طرف المدينة وجلس فتوضأ وقال: «رأيتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في مقعدي هذا تَوضَّأ مثلَ وُضُوئي هذا ثمَّ قالَ: من تَوضَّأ مثلَ وُضُوئي هذا غُفرَ لَه ما تقدَّمَ من ذنبِه»[1] ثم قال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- : «ولا تغترُّوا» الحديث فيه: «ولا تغترُّوا».

الناقل الآن ماذا نقل لنا في المقطع؟ وقف إلى نهاية الذكر وأنه "قد غفر له ذنبه!" إلى هنا! وما قال لنا ما قاله النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- : «ولا تغترُّوا»!

فإذا كان هذا شيخنا سنأخذ من هذا المقطع كذا، ونأخذ من هذا المقطع كذا؛ ماذا ستكون النتيجة؟ تيه! يخرج لنا واحد آخر في مقطع آخر وقد يكون صوتيًا ولا نعرف حتى من يتكلم! يقول:

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٤).

(خطأ أن تقولوا: تعالى جدُك.) لماذا؟ يقول: (الجد بمعنى: الجد والله ليس له أب ولا جد!) طبعًا تعالى الله عن ذلك. هذا لأنك لا تعرف اللغة العربية، وها أنت تقرأ في سورة الجن في قراءة متفق عليها: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[١] والجد معناها: العظمة؛ ولذلك نقول أيضًا في دعاء الاستفتاح: «وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ.»[٢] فجاهل وجُهّال. والناس عندما وصل لهم المقطع، صاروا يقولون: (أستغفر الله ماذا نفعل فيما مضى!) بل استغفر الله على ما هو آت، ليس على ما مضى! لكن ماذا نفعل؟ ها هو القلب مُعرّض لأي أحد يأخذه يمنة ويسرة، وهذا الخطر العظيم يحيط بالكبار ويُحيط أيضًا بالصغار. فهم في أيديهم أجهزتهم أو أجهزة إخوانهم أو أجهزة والديهم ومنها يسمعون ومنها يفهمون ومنها يصلون! فالعلم لا يكون بهذه الطريقة! ولا بهذه الطريقة يصل الناس إلى الحق أبدًا.

فأول أمر نتفق عليه: أن الحفظ يكون للقلب. وهذا الصغير لابد أن يعرف أنه مسئول عن قلبه، ولا تتصوروا أن طفل في رياض الأطفال لا يستطيع أن يفهم هذا الكلام. نحن لم نفتح

---

(١) الجن: ٣.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦١٥).

البرنامج إلا بعد تطبيقات كثيرة على الصغار في رياض أطفال. وكيف أن هذا الصغير يعرف وحتى أنه يفهم حديث: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ»[1] فهو عندما يسمع: (نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ) سيكون سهل جدًا عليه الفهم. عندما يذنب نقول له: (هذا وراؤه نُكتة سوداء في قلبك.)، وعندما يُحسن نقول له: (هذا وراؤه نكتة بيضاء في قلبك.) فعندما يُلفت نظره إلى أن قلبك تُنكت فيه نكتة إما سوداء أو بيضاء، وأنت اختار لنفسك وقلبك إما يصبح أبيضًا وإما يصبح أسودًا كما في الحديث بالضبط وليس اختراعًا! بل كما في الحديث. ماذا ستكون النتيجة؟ أنه سوف يخاف على قلبه، وأنت تعرف الصغير أول ما يُخوَف من شيء أو يلفت إلى شيء يصير هذا تركيزه؛ لأن قلبه صافٍ ما عنده أشياء كثيرة تشغله. فيبدأ يخاف على قلبه ويعرف أن الحل أن يقول: (أستغفر الله.) ويتوب إلى الله فيقول بسرعة: (أستغفر الله.)

هذا الكلام طبقناه مع أربع سنوات وعندما يكبر قليلًا ويصبح ذا خمس سنوات يكون التطبيق معه الزيادة في المعلومات يعني

(١) أخرجه مسلم (١٤٤).

نقول له: (إن يوم القيامة ﴿تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[١] يعني بتعبير بسيط جدًا أن الذي في قلبك يخرج ويُنشر ويبان صفحة والناس يرونه. فيحمل هم الآن. أن هذا الذي في قلبه سيراه الناس. ويوم القيامة ماذا سيقولون؟ -وأنت تقول له بالتقريب- (هذا الذي كان صالحًا، هذا الذي كنا نحبه! انظر كيف أصبح قلبه! انظر كيف كان!) المقصد بذلك أن الفضيحة تأتي لمن خاب وخسر.

فأول الأمر: لفت نظر الطفل إلى أن قلبه هذا صار مسئوليته. وهذا قلبك هو مخفي بين أضلاعك ولكن في الحقيقة فيه نقطة بيضاء أو نقطة سوداء، وغدًا تُنشر هذه النقطة، صغير يفهم ويفهم جيدًا هو أصلًا خُلق لكي يفهم، ولا تستعملوا ما يستعمله علينا الغرب كوسيلة لهدم ديننا. الغرب والشرق ماذا فعلوا بنا؟ ناس ليس عندهم غير المحسوسات والماديات فيقولوا لك: (الطفل لا يفهم ما وراء المحسوس!) وبملء فؤادي ولساني أقول: (كذابون!) هذا الصغير خُلِق من عند رب العالمين وهو يستطيع أن يفهم ما تُفهمينه إياه ولو من وراء المحسوس، ولكي تعرفوا أنهم كذابون؛ في المدارس يقولون لك: (هو لا يفهم إلا المحسوس)

(١) الطارق: ٩.

وفي أفلام الكرتون يكلمونه عن الخيال المطلق. فماذا يفعلون في يدك؟ يكفون يدك بنظرياتهم، يكفون يدك في المدارس عن تعليمه الحق المتصل بالغيب. ثم قدرته على تعلُّم الحق المتصل بالغيب يستعملونها في أفلام الكرتون في إشغاله بالباطل!

فماذا فعلوا! كفوا يد أهل الحق عن بناء الحق، وشغلوا مكان الحق بالباطل. ففي النهاية عندما يكبر بعد ذلك تقولين له: (إن الله قوي.) يقول لك: (هل الله أقوى من هذه الشخصية الكرتونية أو أقوى من كذا وكذا؟!) لماذا؟ لأنه أصلًا كان مستعدًا عنده سؤال: (من الأقوى، من الأعظم، من الأكبر، من الملك المطلق؟) لديه هذه الأسئلة. فعندما لا تجيبينه أنت؛ يبحث هو عنها فيجدها في شخصيات أفلام الكرتون. إلى مَن ألجأ وقت الحاجة؟ عندما لا تجيبينه أنت ستجيبه الأفلام. فيشغلون مكان الاستعداد! والمصيبة الكبرى أن الذي يربي الصغار لا يعرف تفاصيل الفطرة، عندما لا تعرف تفاصيل الفطرة كيف ستربي الصغير؟! هو الصغير جاء لك ليس لتعلمه كيف يكتب. هو أصلًا لا يستطيع أن يتقن هذه المهارة بطريقة صحيحة وسهلة إلا في سن معينة والذي يظهر على اختلاف كبير أنه بعد سبع

سنوات. قبل هذا اكتب في فؤاده، فؤاده ممتلئ بالفطرة سوية، لديه مجموعة أسئلة، خائف؛ يبحث عن ركن شديد. محتاج؛ يبحث عن ملك عظيم. هذه حالته ضعيف؛ يريد من أحد أن يقويه. وأنت لست القوي ولا الشخصية التي في الكرتون، بل الله العظيم هو القوي.

فمن أجل ذلك عندما غابت معرفة الفطرة وأسئلتها وحاجاتها لم يستطع الطفل معرفة كيف يحفظ قلبه. ولا أحد ساعده على ذلك. أصبح تائهًا في كل وادٍ. وهذا التيه سببه أنه: (ما عرف الله) لم يقل له أحد من هو الله؟ ونتصور أنه نحن بأنفسنا لا نعلم عن الله ولا نعلم كيف نتكلم عن الله! وإذا سألنا الصغير ما معنى (الصمد)؟ لا نعلم معناه. فتصورنا أنه هو أيضًا عقله ما يتحمل ذلك! وهو على العكس خُلق وأتاك مستعد لتكتب في قلبه الحق، مستعد يريد منك أن تقول له وقت الحاجة يركن لمن؟ من الذي يملك كل شيء؟ ومن صفاته العجيبة هذا الصغير أنه محتاج منك أن تكرري عليه، تكرري عليه، يريد أن يسمع نفس المعلومة حتى يمتلئ فؤاده بها من كثرة حاجته لها، واستمتاعه بها كالذي

يشرب الماء. هل تلومينه وهو عطشان أن يشرب الكأس بعد الكأس وتقولين له: (هو نفس الماء؟!) لا!

فالذي يطلب أن يسمع عن الله ويتكرر عليه ما يسمعه؛ هذا لأنه هو أرض جدباء محتاج الماء. لكن عندما نتركه ونتركه في جدبه يتحول فلا يستسيغ الماء. لا يستسيغ الحق أن يصله! فهذه أزمة عظيمة أن تُترك عقول أبناءنا وقلوبهم إلى الناس. تُترَك للأفكار. وهم قد أتوا بفطرة سوية المطلوب اغتنامها.

إذًا باختصار: الصغير لابد أن ينبه إلى قلبه. ولابد أن ينبه إلى أن يحافظ على قلبه. يحافظ على قلبه فلا يُدخل معلومات خطأ. يحافظ على قلبه فلا ينظر إلى شيء خطأ. يحافظ على قلبه فلا يذنب، فأجعل مركز حياته قلبه، ومعاملة الله لك على أساس ما في قلبك. وخبيئتك هذه التي تخبئها في قلبك لابد أن تظهر منك وهكذا.

هو يأخذ هذه القاعدة ويكبر فتزيد، يكبر فتزيد. أنت لا تحمل هم أن هل كل هذه التفاصيل سيفهمها؟ الصادق الذي يحمل الصدق وقتما سيُعطى الحق سيوفق في قول الحق.

اليوم في التعليم كل التركيز على: كيف أقول؟ والصحيح في التعليم ليس التركيز على كيف أقول؟! ولكن الأهم هو: ماذا تريد أن تقول؟ ماذا معك تريد أن تقوله؟ ولو استجرت بالله وانكسرت بين يدي الله وأنت مؤمنة. أكيد أنك لن تظني أن الله يخذلك. يخرج الكلام من لسانك كالسهم الذي يحمله طبًا. ترسلينه يقع في قلبه فيطبب قلبه. فأنت قضيتك: ماذا تريدين أن تقولي؟ هذا الذي يحتاج إلى جهد وبحث، طبعًا هذا سؤال الله. لكن لا تحمل هم الوسائل. اليوم التركيز كله: ماذا نفعل من وسائل تعليمية! وكيف؟ والمسكين هذا أقل كلام يأتي له بنتيجة. أقل كلام! ولكن المهم أن يكون الكلام حق. وكل وسائلك أنت تعلمين في آخر السنة أين تذهب! تعلمين كيف يكون الموقف منها وهذا ليس تزهيدًا في الوسائل افعلوا ما تريدون، ليس شأني أنا أن أتكلم عن الوسائل، أنا شأني أن أقول: (إن هذا الطفل الصغير مستعد أن يقبل الحق، فلا تنشغلي عن الحق، واعرفي الحق معرفة جيدة، وابذلي جهودك أن توصليه، ولا تقولي: (كيف؟) اسألي الله أن يوفقك، وهذا الصغير الذي تربينه معه مواقف كثيرة توصلك إلى بيان الحق له. هو سائل ملحّ، عينيه

تسأل، مواقفه تسأل. فكل هذا يحتاج منا فطنة، أن تعلم ما هو الحق وتستفيد من كل المواقف فتعطيه الحق.

إذًا هذا هو الأمر الأول الذي يجب أن نحافظ عليه سواء كنا نكلم أنفسنا به أو نكلم الصغير: المطلوب أن يعلم أن المطلوب منه أن يحافظ على قلبه:

- فلا يُدخل إليه الشبه.
- ولا يُدخل إليه الأخطار.
- ولا يُدخل الذنوب.
- ويعلم أن الله ينظر إلى قلبه، سنكرر عليه هذا المفهوم.

ثم يلحق بهذا طبعًا أن يحافظ على جوارحه فلا يعمل بجوارحه ما يُغضب ربه، وهنا المسألة تحتاج إلى الإتقان في عرض هذا الأمر بمعنى: أن نحن في الأمرين سواء في القلب أو في الجوارح على يقين أن الله وهبنا إياهم وهبنا قلبًا ووهبنا الجوارح. ماذا يجب عليّ أن أفعل؟ لابد أن يفهم أنه مسئول عن قلبه وجوارحه، سيحاسبه الله عنها أين استعمل قلبك؟ وأين استعمل جوارحه؟

فالمطلوب حفظ القلب وحفظ الجوارح وهنا لابد من التنبيه إلى أن القلب والجوارح عطية أعطانا الله إياها. الصغير لابد أن يفهم أن الله أعطاك هذه العطية من أجل أن تغتنمها وتستفيد منها وستحاسب عليها، أيامك ولياليك ستحاسب عليها. وقوتك وطاقتك ستحاسب عليها. فلابد منك أن تفهم أن هذه عطايا. ومن ثم لابد أن تفهم أنه مطلوب منك أن تحفظ العطية التي أعطاك الله إياها، تحفظ جوارحك من أن تفعل بها شر. وهذا بكلام يسير سهل كلّما مد يده مثلًا يضرب أو لسانه يتكلم. ننبهه أنه مطلوب منه أن يحفظ الله في هذه الجوارح التي وهبه الله إياها.

تنبُّه المربي يؤدي إلى ثبات المتربي. تنبُّه المربي للمواقف على قدر المستطاع -والتوفيق من الله- يُسبب ثبات المتربي؛ لأن المربي عنده قانون واحد: كلّما رآه يتفلت يرده يقول له: (احفظ لسانك، احفظ جوارحك، حفظك هذا سيترتب عليه أن يحفظك الله، الله أعطاك اليد ليس لتبطش بها وتظلم الناس، الله أعطاك اللسان كي تتكلم بالحق وليس لتتكلم بالباطل.)

هذه الكلمات تتسهل وتتيسر على حسب النقاش معه. ولكن المقصد: بقاء تنبيهه على ذلك. كلّما كبر كلّما بدأنا ننبهه على عطية الله بقلبه. وعطية الله في قلب الإنسان تدور حول مشاعره يعني وهو صغير سنقول له: (قلبك، انتبه لقلبك) ثم نقول له: (جوارحك، انتبه لجوارحك.) وعندما يتقدم أكثر في العمر ننبهه مرة ثانية لقلبه وننبهه أن مشاعره التي وُهبت له: كالحب، الخوف، الرجاء، حتى الكره. المشاعر الموهوبة له المفترض أن يحفظها لأن الله وهبه هذه المشاعر من أجل أن يركبها فيصل إلى الله، المشاعر هذه ليست ملكك تفعل فيها ما تشاء وتوزعها على من تشاء! المشاعر هذه أتت من أجل أن تصرفها في طاعة الله. تحب الله، تحب طاعته، تحب من أمرك الله بحبه، تحب أن تتقرب إلى الله، تكره من أمرك الله ببغضه. فهذا كله ليس متروكًا لك.

ونحن لابد أن نفرق بين الطفولة وبين التقدم. وهو طفل صغير سنبقى نقول له: (قلبك هذا هو المهم.) وبعد ذلك عندما يتقدم قليلًا يبدأ يعبر عن حبه، عن بغضه، عن خوفه. فنقول له: (هذا كله ربنا وهبك إياه من أجل أن تصل إليه.) ونضرب له

أمثلة وكلّما تقدم في العمر كلّما ضربنا له أمثلة أكثر. فنقول له: تعرف(خوفك) هذا. الخوف من المشاعر الطبيعية، أننا نخاف من الأشياء. لكن انظر إلى موسى -عليه السلام- عندما خاف مباشرةً فزع لمن؟ فزع إلى الله. فالخوف شيء طبيعي. مثلًا في سورة غافر قصد فرعون إلى موسى لكي يقتله قال: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ فخاف موسى طبعًا وقال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾[1] معناه: وقع الخوف فوقعت عبادة الاستعاذة.

فالمشاعر التي وهبنا الله إياها ليست لعبة، المشاعر التي وهبنا الله إياها وسيلة للقربى. فالمفترض أن أحافظ على مشاعر هذا الصغير لا يضيعها في أي أمر فيأتي مثلًا يقول لك: (كم أنا أحب الأكل!) يتغزل في الأكل ويحبه، طبعًا نبتسم له كذلك لأننا نشاركه في حبه! ثم يكبر الولد أو البنت ويقول: (أتمنى أن أكون طباخًا!) وأنت طبعًا تمدحه وتقول له: (ونعم العمل) لا بأس هذا يجوز. لكن ليس حبه! هذه المحبة الطبيعية لا تحتاج إلى تضخيم ولا وصف ولا غزل ولا أي شيء. لكن له حق أن يحبه! كيف لا والناس طوال وقتهم يتغزلون في الأكل بصورة عجيبة! وجاء

(١) غافر: ٢٦-٢٧.

الاعلام يقول لك: (هيا اطبخي واطبخي وإذا عجزت عن أنك تطبخين، فلا مانع من السلبية، شاهديهم وهم يطبخون!) لا مانع من السلبية! وهذا كله تشتيت لهذه المشاعر الموجودة في القلب، معناها أن المحاب الطبيعية لا نحتاج أن ندخل فيها نقاش. لا نحتاج أن نصف مشاعر المحبة تجاه الطعام! ربنا خلقنا نحب أن نأكل ونشرب. وهذا طبيعي لكن ليس (نحب) هكذا. فلا يصير هذا التضخيم بهذه الطريقة لهذه الأمور! واحسب لما وراءه! هذا الطبيعي من أكل وشرب، انظر لما ورائه من الكلام عن المحاب.

أنت مشاعرك ليست لعبة، يحق لك أن تأكل وأن تشرب، وأن تراهم حاجة من الحاجات، وأن تحبهم المحبة الطبيعية البسيطة التي لا تحتاج حتى أن تعبر عنها، ولكن عندما سمحنا لأنفسنا بهذه المهزلة. أني أضع مشاعري وقلبي في أي مكان. ماذا بقي لله؟! ماذا بقي لمحاب الله؟ وأنت إنسان واحد. وهذه مشاعرك كالكتلة الواحدة، مشاعرك هذه رأس مال، عندما تمسك رأس مالك وتنفقه وتعطي هذا وتعطي هذا. ماذا يبقى لك عندما نقف بين يدي الله؟!

لذلك يبقى الكلام يُقال لنا قبل أن يُقال للصغار. نحن أنفقنا مشاعرنا وطوال الوقت يرانا نتغزل في الكلام الفاضي التافه! من المؤكد أنه سيسير بنفس الطريقة!

فلابد وهو صغير أن نقول له: (قلبك، جوارحك، انتبه، لا تضرب أصحابك، لا تدفعهم، لا تمد يدك تأخذ أغراض أصحابك، لابد أن تحفظ الله، الله يراك، لا تمد يدك) عندما يكبر يتغير الكلام نقول: (انتبه للمشاعر التي في قلبك، لا تلعب بمشاعرك تعطي هذا وتعطي هذا وتتعلق بهذا وتحب هذا، ولا تترك نفسك تمد عينك إلى ما متع الله به غيرك؛ الله قال لنا في القرآن: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1] ابتلاهم بها ليفتنهم؟ أنت لماذا تُدخل نفسك في اختبار غيرك؟

فكلّما كبر كلّما حملّناه المسئولية بصورة أدق، بحيث أنه يفهم في النهاية أنه إذا حافظ على مشاعره، وحافظ على مسالكه وحافظ على جوارحه سيحفظه الله، إلى أن نصل إلى -الكلام ليس بجميل ولكن تسمعوه هكذا بشكل مختصر- هذا الشاب

(١) طه: ١٣١.

عندما يبلغ وهذه الشابة عندما تبلغ ونقول له: (احفظ الله في فرجك ولا تدخل في أي بلاءات ولا أي نظر إلى محرم، لا تدخل في العادة السرية، لا تفعل هذه الأشياء؛ لأنك إذا لم تحفظ نفسك في هذا ستهلك، فأنت لو حفظت نفسك؛ الله يحفظك) وفي الوقت نفسه أقول له: (من تعجّل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، فأنت تؤخر على نفسك عطية الله بذلك، لابد أن تحافظ على نفسك حتى يعطيك الله.) وهكذا...

وكلّما كبرنا كلّما فكرنا جيدًا على أي شيء لابد أن أُحافظ؟ بين قلبي وجوارحي. الشيء الذي تحفظه لن يخرج عن قلبك وجوارحك. فالله -عزَّ وجلَّ- أعطاك هذا القلب عطية وجوارحك عطية وستحاسب عليهم.

ثم عندما يصبح هذا كبيرًا ويبدأ يكون عنده ممتلكات ويبدأ يكون عنده عطيَّات من الله لابد أن يحفظ الله فيها. فإن أعطاه الله من نعمائه بيت أو مال أو حتى كتبه التي يقرؤها، حتى مدرسته، حتى كرسيه الذي يجلس عليه. فهو في أمن وأمان ومُنعم عليه. لابد كلّما بدأ يمتلك شيئًا أن أقول له: (احفظ عطية الله حتى يحفظك الله في هذه العطية) نُنبهه على ذكائه

وفطنته، يوجد كثير من الصغار فطنين، يوجد كثير من الصغار فصيحين. انتبهي ما هي عطيته وقولي له: (هذه الفصاحة عطية من الله، واحفظ الله فيها ولا تتفلسف.) عنده جهاز يملكه نقول له: (هذا الجهاز عطية، احفظ الله فيه، لا تخزن فيه السيئ من الأمور لا تفعل. لا تفعل) وهكذا إلى أن يتشعب مفهوم الحفظ يبدأ من القلب والجوارح وينتهي بالممتلكات والمعاملات والقدرات.

هذه تفاصيل كثيرة تحتاج إلى مربٍ نبيه يبتغي وجه الله، يحتسب عمله على الله حتى يتنبه لهذا الموجود وكلمة صادقة تقولها تنفع الناس، تنفع هذا الذي تنصحه، بل قد تنفع الناس وأنت لا تُقدّر الأمر والله شكور يعطي على العمل القليل الأجر الكثير، فالمحتسب سيبذل جهده وسيرى الأمر أمامه فرصة عظيمة للتوجيه.

بذلك -الحمد لله- تكلمنا عن: «احفَظِ اللهَ يحفَظْك» ولأن الوقت أدركنا «احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك» تشبهها في المفاهيم إذا استطعنا غدًا -إن شاء الله- نضيف على (تجاهك) معاني.

ننتقل لقوله -صلّى الله عليه وسلّم-:

(إذا سألتَ فاسألِ اللهَ)

المفترض أن ننتهي من مسألة المعاملة كيف هو يعامل الله؟ ثم لاحقًا نقول: (كيف يعاملك الله، كيف يحفظك، كيف يكون تجاهك؟)

دعونا نقول: (ماذا سيفعل هو الآن؟)

«إذا سأَلتَ فاسألِ اللَّهَ» هذا المفهوم ينبهنا إلى شيء مهم جدًا في خلقة الإنسان وهو: أننا كلنا بلا استثناء وصفنا: "فقراء" والمربي لابد أن يفهم هذا الفقر جيدًا لكي يجعله وسيلة للطاعة والعبادة، كلنا فقراء وهنا الفقر نسميه: "فقرًا ذاتيًا." وغنى الله "غنىً ذاتيًا" فالله غني مستغنٍ عن كل شيء -سبحانه وتعالى- والإنسان فقير محتاج إلى كل شيء. وأي شخص في حكم أهل الدنيا غني بشيء فهو إلى ما اغتنى به فقير!

افهموها هي بسيطة جدًا: كل أهل الدنيا أصل وصفهم "فقراء" وأي شخص في الدنيا غني بشيء فهو فقيرٌ إلى ما اغتنى به، وسيتبين ذلك بالمثال مباشرةً، الآن فلان هذا غني ومن غناه أنه

لابد له من تناول نوع معين من القهوة في إفطاره -مثلًا-، عندما تصبح هذه القهوة غير موجودة ماذا يحدث له؟ يصدع رأسه ويشعر أنه منزعج! ما اسمه بالنسبة للقهوة الآن؟ فقير إليها، هذا الآن لا يستطيع أن ينام إلا على فراش من نوع معين ويظهر هذا في الحج بوضوح وفي الصيام بوضوح أيضًا يظهر هذا الفقر، فهذا غني لا يقدر أن ينام إلا على سرير بمكان معين بأوضاعٍ معينة، عندما يذهب إلى الحج يظهر فقره إلى هذا الفراش! فالناس كلّما زاد غناهم -في قانون الناس- كلّما زاد في الحقيقة فقرهم، فأنت تصور:

طفل صغير في عائلة متوسطة وطفل صغير في عائلة ثرية.

الطفل الصغير الذي في العائلة الثرية لا يأكل إلا في صحن معين، في مكان معين. والطفل الذي في العائلة المتوسطة ما عنده هذه الأشياء. عندما يتغير حال الاثنين إلى أدنى. مَن يظهر فقره أكثر؟ الطفل الثري يظهر فقره؛ لأنه فقير إلى هذه الأشياء لا يستطيع العيش بدونها.

فالناس عندما يزيدون أنفسهم من الدنيا؛ يزيدون أنفسهم من الفقر! والفقر صفة مشتركة.

والفقر إلى الله سبب الفخر للعباد، لأنك عندما تشعر أنك فقير إلى الله وتبقى بين يديه ذليلًا له، تسأله وهو مالك الملك يأتي بالأشياء إليك. يعني حتى أنت لا تذهب إليها. بل يأتي بالأشياء إليك. فالفخر كل الفخر أن الملك العظيم يسمعك عندما تسأل ويجيبك أيسر ما يكون.

بل العبد حين ينادي ويناجي في قلبه؛ يسمعه الملك العظيم فيعطيه حتى يرضيه. فهذا فخر.

فنحن في البداية لابد أن نفهم أننا كلنا نحتاج، وحاجاتنا متفاوتة صغيرة أو كبيرة. فعندما نحتاج كأن بداية الجملة: أنت لابد أن تحتاج أنت فقير، فأول ما تحتاج ما هو المطلوب منك؟ أن أول ما تحتاج قلبك هذا يفزع إلى الله فيسأله. فالجهة التي سأتجه إليها في المعاملة هي: أني لن أسأل الناس أبدًا، الله مباشرةً، والناس؟ سأسأل الله أن يسخر لي من الناس، سأسأل الله أن يجري لي الخير، سأسأل الله أن ييسر لي الأمور. ويأتي هذا ظاهر جدًا في مقطع القضاء والقدر، في مقطع القضاء والقدر ستظهر لي جملتين: أن الناس: «لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك». أي أن الناس سينفعونك وقد يضرونك! ولكن: «لم

يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك» فهذا لا يلغي وجود الناس ولا يلغي حتى التعامل مع الناس. بل هذا يجعل الناس بعد الله. الله عند هذا المؤمن الصغير هو الأول الذي ليس قبله شيء، الله عند هذا المؤمن الصغير هو الآخر الذي ليس بعده شيء.

وهذا المفهوم عميق جدًا ويحتاجه الذي يربي. هذا المفهوم ليس فيه كذب. أعني بذلك أن الذي لا يعيشه لا يستطيع أن يربي عليه، الذي لا يشعر به في وجدانه لن يستطيع أن يُخرجه على لسانه متقنًا ولا يصل إلى قلب من يسمع؛ من أجل ذلك لابد من جعل هذا الكلام قاعدة من القواعد التربوية وهو: "قاعدة الإيمان بأن الله هو الأول والفقر إليه" وهذه قاعدة مهمة في التربية. فلا أجعله فقير إليَّ، ولا أجعله فقير إلى الناس. ولا أجعله يتكفف أحد فلا أقل له: (أنت من بعدي ستجد فلانًا وفلانًا!) هذا في مبدأ التربية لا يصح. ولا أجعله غنيًا بي كقولي له: (ما دمت حيًا فلن يحصل لك هذا ولا هذا!) لا، بل لابد أن يشعر أن سنده وصمده وملجؤه هو الله، والله وحده ولابد أن يعرف أني أنا وهو في صف واحد سندنا هو الله. يعني أنا لا أتخلى عنك، أنا معك أتعلق بالله، أنا معك أسأل الله، أنت تعال معي إلى هذا الباب

الذي لا يُطرد أحد منه، أنت تعال معي إلى هذا الباب الذي لا زحام عليه، إلى هذا الباب حيث لا منافس يأخذ منك لقمتك. تعال إلى هذا الباب الذي هو باب العبودية، وسترى كيف ستكون في عز وطمأنينة. وسترى كيف تسهل الدنيا ولا يكون هناك هموم، إنما الهم كله أن أكون ذاك العبد الذي لا يفزع لغير الله.

ومن أجل أن تتصورها جيدًا وتسهلها على الصغير والكبير أي شيء تريده من أي أحد ابدأ أنت بسؤال الله، واعلم أن الله يُصرّف هذا العبد. فالعبد ملكٌ لله، وكأني أقول لهذه الشابة التي دخلت في الحياة الزوجية وهي في بداية الزواج وزوجها يوم تفهمه ويوم لا تفهمه نقول لها: (الأمر ليس منك إليه ليس منك إلى الزوج، إنما منك إلى الله. ومن الله إليه.)

وكل الحياة بهذه الطريقة: (منك إلى الله ومن الله إلى عباده) الله إذا أراد فجّر الأرض تحت أقدام الخلق فأعطاهم منها الخيرات. وإذا أراد حبس عنهم عيون ماءٍ تجري! فالأمر أمره والعبد عبده فإذا سألت فاسأله؛ لأنك مؤمن أن الله هو الملك ولذلك هناك أسماء كثيرة تدخل في هذا الباب. تدخل في هذه القاعدة وهي:

"أننا كلنا فقراء وقبلة قلوبنا في السؤال: الله" كلنا فقراء ونعتز بهذا الفقر ونراه فخرًا؛ لأن الإنسان لو استغنى عن ربه هلك! فمن رحمة الله أن يعيش الإنسان وهو صغير منذ نعومة أظفاره:

- أنه فقير وأن الله هو الغني.
- أنه ضعيف والله هو القوي.
- أنه عاجز والله هو القادر.

فيكون الله هو ملجؤه وقبلته، والأمر يسير جدًا في الوصف، لكن من يمتلئ بالحق سيعرف يرسل هذا الحق.

فعندنا بعض الأسماء التي من الضروري جدًا بيانها في هذا الأمر. فمن الأسماء المهمة هنا اسم الله:

"الأول"

ولابد من فهمه بوضوح فهو الأول الذي ليس قبله شيء، فأول ما تحتاج؛ تفزع إلى الأول.

يعني لا بد أن تتكرر عليه جملة: "الله هو الأول الذي ليس قبله شيء" دائمًا أنبهه: الله هو الأول الذي ليس قبله شيء. فأول ما

تحتاج افزع إلى الله. ولا تشكل عليكم مسألة الناس فهذا سنناقشه بوضوح في مسألة القضاء والقدر.

ومن الأسماء المهمة التي يجب أن نتعلمها هنا اسم الله:

"الملك"

فأنت ماذا تريد؟ كل الذي تريده يملكه الملك. إذًا لا تسأل إلا الملك، تسأل العبيد! الذين لا يملكون شيئًا! بل اسأل الله الملك الذي يملك كل شيء.

أيضًا من الأسماء المهمة، أسماء الله:

"القريب، المجيب، السميع، البصير"

كل هذا ليعلم أن سؤاله مسموع، أن ربه منه قريب، كل هذا يحتاجه في مشاعره. وكما اتفقنا أن الذين يتربون سواء كانوا صغارًا أو كبارًا يحتاجون إلى التكرار، التكرار لا تملوا من تكرار نفس المفاهيم أبدًا. حتى الكبار الله -عزَّ وجلَّ- يخبر أن حقهم علينا: الذكرى. فتكون المفاهيم موجودة في نفوسنا وعندما نُذكَرها كأننا ما سمعناها من قبل! فهذه النفس التي خلقها الله

وهو أعلم بها. تكرر عليهم الحق وأيضًا تذُكرّ من يعرف الحق بالحق فيثبت في قلبه.

الأمر يحتاج مناقشات أكثر من ذلك، نكمل في اللقاء القادم...

جزاكم الله خيرًا

السلام عليكم ورحمة الله

اللقاء الثّاني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله أن نكون ممن انشرحت صدورهم لسنة النبي الكريم فاتخذوها منهجًا يسيرون عليه، فأصبح دين ربنا العظيم طريقًا مستقيمًا نراه ببصيرة قلوبنا فيوصلنا إلى النجاة وهو -سبحانه وتعالى- الذي يشرح الصدور وينجي الخلق ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

كنا فيما سبق في لقائنا الماضي اتفقنا على مسألة مهمة كلما نلتقي نكررها وهي:

أننا في غنى تام عن أي منهج تربوي مأخوذ من غير الكتاب والسنة

نحن في غنى تام، من أين نأتي لمنهج في التربية؟ من الكتاب والسنة، كيف نصل إلى ذلك؟ نجتهد في اللجوء إلى الله وسؤال الله ولا نكون أولئك القوم الكسالى، وهذه هي الأزمة: "الكسل والاقتناع بالقليل من العلم وهو فتات العلم!" هذه هي الازمة الكسل، الكسل مشكلة المشاكل وهو مما نستعيذ بالله منه،

نستعيذ بالله من الكسل، ومع أننا نستعيذ بالله من الكسل إلا أننا نجد أنفسنا في مواطن كثيرة كسالى حتى عن التفكير! مشغولون بالتافه من الأمور!

فنحن إذا شعرنا أن هؤلاء الذين نربيهم مسؤوليتنا؛ بذلنا جهودنا وما أخذنا فتات أفكار شر البرية! بل بذلنا جهودنا في أخذ هذا الميراث العظيم الذي جاء من عند رب العالمين وتعلمناه وعملنا به وجعلناه أمام أعيننا، ووصلنا من خلاله إلى الرشد.

الرشد في هذا الذي تحفظه وتقرؤه، الرشد في الكتاب والسنة. في كل شأن هنا الرشد. لكن الصادق الذي يبحث عن الرشد؛ سيجد الرشد، سيرزقه الله الرشد.

لابد أن نشعر بمسؤوليتنا، لابد أن نشعر أننا نتعبد الله بالاكتفاء بكتاب الله. نتعبد الله بالاكتفاء بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، نكون على ثقة تامة أن الخير كله هنا والباقي علينا أن نجتهد مع هذا الخير. ومن صدق في الاجتهاد لن يخذله الله، من المؤكد لن يخذله الله.

ماذا سنفعل من أجل أن نصل؟

كما اتفقنا نتعلم جيدًا ونفهم بعمق، ولا نكتفي بظاهر المسائل، ثم من هذا نصل إلى أن ننظر في هذا الذي نقرؤه ونسمعه: "كيف نستفيد منه في أحولنا؟" يعني إذا كنت تتكلم في مسألة تتصل بتربية الأبناء صغارًا كانوا أو كبارًا؛ اقرأ في كلام الله وكلام رسول الله، اقرأ في صفات الإنسان، اقرأ في مفهوم الفطرة، اقرأ في كلام الله وكلام رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم- كيف يخاطب الآباء الأبناء. يعني وقفات مع سورة لقمان ووصية لقمان لابنه تعطيك منهج تعيش عليه في تربية الأبناء. كيف الأوليات كيف التوحيد هو المهم. كيف يُخاطب في التوحيد. كيف يُخاطب في صفات الله. كيف يُعَلّم؟ كله موجود في وصية لقمان لابنه.

الصادق سيجد الخير، والمجتهد ما يخذله الله. ولكن لابد أن نعترف بمشكلتين نعيشها:

أولًا: عدم الإحساس بالمسؤولية تجاه تربية الأبناء أنها لابد أن تكون من الكتاب والسنة. لا يوجد هذا الإحساس!

ثانيًا: حتى لو أني علمت أنه صحيح لابد أن أربيهم على الكتاب والسنة. يأتي الامر الثاني أنه لا يوجد جِد. لا يوجد ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[١]

فعندما يجتمع الجد مع الإحساس بالمسؤولية؛ يحصل أننا نبذل جهدنا ما استطعنا ونشكر نعمة ربنا على تيسر العلم ويكون ردنا على نعمة الله أن نجتهد ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.

أحد الامور السهلة اليسيرة التي نصل منها إلى مفاهيم يجب أن نُعلمها الأبناء: "أن ننظر في الأحاديث التي خاطب بها الصغار"

مثلًا خاطب الحسن -رضي الله عنه- وهو طفل دون الثامنة خاطبه بالحديث المشهور الذي نسمعه على ألسنة كل من يدعوا في الوتر: «اللهمَّ اهدِنا فيمَن هدَيت ، وعافِنا فيمَن عافيت وتولَّنا فيمَن تولَّيت...»[٢]

الصغير علّمه الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

ويخاطب الغلام ابن عباس بتلك الكلمات العظيمة التي فيها الدين كله، معناها أننا عندما نقرأ مثل هذا؛ نفهم أن هذا

---

(١) مريم: ١٢.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢٥)،

الصغير يحتمل أن يخاطَب بالعقيدة. يحتمل أن يخاطَب بالسلوكيات الصحيحة.

هذه أحد الطرق اليسيرة جدًا. منها نرتقي إلى ما هو أعلى منها، منها نرتقي لغيرها من النصوص. فأسهل شيء الآن: أن نلحظ في الكتاب والسنة أين خطاب الآباء للأبناء؟ فتجد سورة لقمان واضحة أن لقمان يوصي ابنه. إذًا هذه الوصية تُفهم بخطوات يسيرة، تُفهم بالتفصيل. تُفهم ليس على أنك تُخرج لهذا الصغير منها قواعد! لا، إنما قبلها أنا أفهم الخطاب بالتفصيل. إذا فهمته بالتفصيل هذه المعرفة الواضحة الواسعة الدقيقة لكل ألفاظ النص لابد أن تُنتج معرفة إن حصل صدق. "لابد أن تُنتج معرفة إن حصل صدق" بمعنى: إذا امتلأ قلبك تمامًا بالمعرفة وبالمفاهيم عندما تكون أمام المواقف، تهجم هذه المعرفة على المواقف؛ مباشرة تتصور في هذا الموقف ماذا يجب أن تقول. لكن لا يستطيع أن يفعل هذا إلا الممتلئ بالمعرفة، أما الإنسان الغير ممتلئ بالمعرفة، الفارغ؛ سيربي أبناءه على ماذا؟ على بنات أفكاره، على هواه وعلى مصالحه وعلى أسهل شيء ممكن، وعلى الاستراتيجيات التعليمية. أي: الطرق، والطرق على ماذا تحتوي؟! ماذا داخلها؟!

معناها أننا لابد أن نبدأ بطريق صحيح، يبدأ الطريق الصحيح واليسير والسهل -كما اتفقنا-: بأن أهتم بكل النصوص التي خاطب بها الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- الصغار. أهتم بها، أفهمها أولًا، تفهمها قبل أن تقول: (ومنه أستخرج ومنه أستخرج) قبل أن تستخرج، افهمها جيدًا أولًا ثم بعد ذلك مع كثرة التفكير في الموجودات، ماذا تكون النتيجة؟ أنك تستطيع أن تستخرج من هذا التفكير نتائج تُصلح بها المواقف.

الشاهد الآن أننا في هذه الأطروحات الأسبوعية نبذل جهودنا أن نصل إلى هذه النتيجة، أي نتمرن على أحاديث الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- وكيف أفهمها وكيف أخرج منها بنتائج تربوية؟ وان شاء الله بعدها نفس هذا الكلام ينفعنا وبعدها تستطيع أن تنظر أكثر بعمق في النصوص.

من الأشياء المهمة التي يجب علينا دائمًا أن نبدأ بها ونتفاهم حولها ونتناقش فيها هي: (صفات هذا الصغير.)

وصفاته تحتاج إلى لقاءات وحدها لقاءات وليس لقاء. لكن بكلمات مختصرة -لأن الاسئلة دائمًا تأتي من نفس النوع-:

أولًا: لابد أن نعلم أن هذا الصغير أتى بفطرة سوية، والفطرة السوية هذه لها حاجات قوية لها حاجات مُلحّة، كما أن البدن لها حاجات ملحّة. فانظر الطفل جاء ومعه معدة وأمعاء ولهما حاجات وحاجات قوية وهي الطعام. وعنده فطرة سوية تحتاج حاجات قوية وهي: المعرفة.

عندما يكون الطفل صغيرًا نجد أنه حتى الطعام لا يستطيع أن يُعبر عنه يعني حاجته للطعام لا يستطيع أن يعبر عنها! فقط يبكي، وكلّما كبر كلّما استطاع أن يعبر عن حاجته، وانظر للفطرة تشبهها تمامًا: حاجته المعرفية في الفطرة، الحاجة إلى المعرفة تكون في نفسه غامضة ما يعرفها، وعندما لا يجد أحد يناقشه ويعطيه ما يحتاج؛ يبقى جاهلًا ماذا يحتاج! إلى أن يكبر سيبقى عنده شعور أنه محتاج إلى شيء ولا يستطيع أن يعبر عن هذا الشيء الذي يحتاج إليه، كما أنه عندما كان صغيرًا لم يكن يعرف كيف يُعبر عن حاجته للطعام لأن الطفل إذا بكي نعرف مباشرة أنه يحتاج للطعام. لكنه يشعر بمشاعر التيه والضياع ولا يعرف كيف يقول لك إنه تائه! وحتى إذا نقل لك إنه تائه، لا يوجد لديه تعبير لينقل. وإن وجد التعبير الجيد وقال لك إني

أحس أني ضائع. تأتي ترد عليه تقول: (ما هذا الكلام! ما هو الشي الذي ضيّعك!)

نحن لا نشعر أن الفطرة لها حاجة معرفية. لابد أن تعرف أن الفطرة لها حاجة معرفية؛ الفطرة تسأل: لماذا نحن هنا موجودون؟ تسأل عن هذه الأشياء كلها: (كيف تُفسر؟ كيف أفسر الحياة؟ كيف أفسر ما يجري عليّ؟ لماذا يحصل لي مرة ما أتمنى ومرة لا يحصل؟!) أمور كثيرة تدور مع هذا الصغير وما عنده إجابات ولا أحد يستطيع أيضًا أن يبين له هذه الإجابات نتيجة أي شيء؟ نتيجة نقص المعرفة من المربي.

الشاهد أن هذه الفطرة تحتاج. فقبل أن تبكي هذه الفطرة وقبل أن تشتكي هذه الفطرة وقبل أن يتوه لابد أن أعطيه، أغذيه. قبل أن يحصل هذا كله.

يأتي الأمر الثاني: أن هذا الصغير صاحب الفطرة السوية عنده مجموعة أسئلة يحتاج إلى أحد قوي يعطيه المسائل ويفصلها له وهو سيقتنع بأي شيء تقوله له. وهو يحتاج أحد يغذيه ويحتاج التكرار. المشكلة والأزمة أنه عندما يسألنا اليوم: (أين الله؟) نقول له: (في السماء) يأتي غدًا يسألنا مرة أخرى

ونحن في تصورنا أنه ما اقتنع! هذا التصور الذي يأتينا! وهذا تصور خاطئ، هو ماذا يريد؟ يحتاج إلى أن يمتلئ امتلاءً بهذا الكلام. تعيد عليه وتعيد عليه. ولتتأكد أن هذه الحاجة موجودة في نفسه -من المؤكد أنكم تعيشون هذا الأمر كثيرًا-: أنه عندما تحكين له قصة، ثم في الغد يقول لك: (احكي لي نفس القصة) فتحكيها وتخلطين الأحداث. فيصحح الطفل لك الأحداث! وهذا يعني أنه حافظ للقصة! فلماذا يريد أن تقولي القصة مرة أخرى؟! لأنه يريد أن يسمع نفس الكلام، ويتأكد أن هذا هو الذي سمعه وفهمه.

فحين يأتيك ويقول لك: (من هو الله؟ ما صفاته؟ -بأي طريقة يسألك-) أنت لابد أن تكوني ممتلئة بالكلام يعني تقولين له: (الله الصمد) الصمد هذه كلمة وراؤها معاني عظيمة تشمل الحياة كلها، وكيف أنه كامل -سبحانه وتعالى- وهو السيد الذي قد كمل في سؤدده، كمل في علمه وفي رحمته. اقرؤوا وافهموا وكل مرة نقول للصغير كلمة من كل هذا الكلام الواسع، وكل مرة يُكرر عليه هذا الكلام الواسع، لا تفسر إعادة سؤاله أنه لم يقتنع، هو الآن أصلًا مسألة "يقتنع" بالنسبة للصغير وهم! حتى بالنسبة للكبير -الله يساعدنا- مسألة الاقتناع هذه وهم، إذا دخلت عليه

وأعطيته المعلومة ووقعت في قلبه سواء كانت حقًا أو باطلًا يسير ورآها! وهكذا جربوا واسألوا كثير من الأمهات اللاتي يشوّشن على أولادهم ويسألها الطفل: (من أين أتيت بي؟) وهي لا تريد أن تشرح له ولا تريد أن تدخل في مفاهيم لا تعلم ماذا تقول فيها! فتقول: (اشتريتك من السوبر ماركت!) المسكين يصدقها ما يحتاج إلا أنها تعيد عليه مرة ومرة أخرى وينتهي بالنسبة له السؤال.

فهو يعرف ما هو هذا المكان، فيتخيل أنه صحيح أن الناس يباعون فيه، فلا مانع من شراء من الأوادم! ويقبل هذا! فهو ليس ذاك الذي يريد أن يقتنع وإذا قلت له شيء آخر خطأ غير مقبول عقلًا، يأتي هو ويناقشك، لا، إنما هو يقول ما تنقشه، لكن من أجل أنه يحتاج أكثر فهو يسأل أكثر، من أجل أنه يحتاج أكثر ليس لأنه غير مقتنع! وهذه الكلمة لا يصلح أصلًا أن تقال مع الصغير، الصغير كالصفحة البيضاء، تنقش فيها وبعد ذلك يحتاج أن تحبّر على النقش، تنقش وتحبر عليه وتعيده وتصقله وتبقيه إلى أن تنيرها، ثم تصبح منهجًا بالنسبة له.

وانظر إلى الذين تربوا في بيئة جيدة تعظّم شهر رمضان والصيام، انظر كيف يكون تعظيمهم، يعني وهو صغير لا مانع أنه يضحك على والديه ويشرب من هنا ويشرب من هنا يحدث منه هذا، لكن كبر وعنده هذا شيء عظيم، مع أنه قد يغضب من الصيام وقد يقول: (أنا جعت) وقد يفعل كل هذا، لكن عندما يكبر يصير الصيام بالنسبة له حد فاصل لا يمكن أن تحدثه نفسه بأن يفطر أبدًا وكل الكبار يشعرون بذلك، يعني من عظمة الصيام عندنا في التربية؛ كانت النتيجة: أن أنفسنا لا تفكر معنا أبدًا أن تقول لنا: (اليوم فقط افطر) ما تقبل، لماذا؟ لأنها تربت عظيمة، والصغير في الصيام ماذا يفعل؟ يصوم نصف نهار ويحاول مرة ومرة يفطر. لكن عندما يكبر ماذا تكون النتيجة من تصميمك على التعظيم؟ أن يكون عظيمًا.

تخيلوا هذا وتخيلوا كل العقيدة، تقولها وتركز عليها وتعيدها وتؤسسها وتبينها وهو يُلح ويطلب منك الإعادة وأنت تعيد ولا تشعر بالملل إلى أن يسكن، إذا سكن يكبر وتكون مضيئة في حياته. لا يستطيع أحد هزها، فإذًا هو مستعد ونحن عندما لا نعرف ونخطئ أخطاء عظيمة، عندما لا نعلم هو إلى أي درجة مستعد، وهذا الاستعداد تابع لإيماننا بأن الله حكيم، لا

تتصوروا أن الله يخلقنا من أجل طاعته وعبادته واستقبال العلم عنه ومعرفته وما يخلق لنا الأجهزة والأدوات التي تبحث عن هذا! نحن في الحياة عندنا بدن وروح، البدن جُهزّ تمام التجهيز والناس كل يوم يقفون أمام البدن ويتأملون ويتعجبون كيف خلق لهم القلوب، كيف خلق الدماء تجري في أبدانهم، ما حال الكلى ووظائفها؟ سبحان الله أمر عجيب يدهش الإنسان. لكن لماذا وُجِد هذا كله؟ لخدمة الروح التي أتت جاهزة لمعرفة الله، الروح التي هي أعجب العجائب، الروح التي فيها الفطرة السوية، الروح التي تستطيع أن ترى من وراء الأشياء وترى الحقيقة من وراء الحقائق.

تخيل هذا الصغير، كيف في موضوع مثل موضوع الموت الذي كثير منا يستصعب طرحه على الصغير مع أنه فطرته السوية واستعداده في الفطرة تيسّر علينا جدًا أن نعلّمه هذا المفهوم. هو الآن صغير عمره أربع أو خمس سنوات يتصور هذه المسألة بسهولة يتصور شروق الشمس، ويتصور غروبها، ويتصور أيضا كونها في كبد السماء في النهار. هذا هو مفهوم الموت، الموت: أنه تولد الأشياء كالشمس التي تولد ثم تكون شابة كالشمس في رابعة

النهار ثم تموت كالغروب، وهذا يحيه الله بالضبط كما ترجع الشمس في اليوم التالي وتأتي.

وبعد ذلك عندما ننتهي من مثل الشمس ننتقل إلى مثل القمر، ونقول له: (الهلال وُلِد) -نقول هذه الكلمة: "وُلِد" ثم نرى كيف يصبح بدرًا (شابًا) ثم نرى الآن كيف يذهب. يذهب سيموت ثم (يولد من جديد.) الله يحيه من جديد وبسهولة سيتخيله على الناس يعني ولدوا وكانوا صغارًا ثم صاروًا شبابًا ثم ماتوا ثم يعودون مرة أخرى، لكن المرة الأخرى التي سنعود فيها "سنجتمع كلنا مع بعض" فقط هذه هي الكلمة الزائدة بسهولة ستكون.

المقصد من المثل: أن الله عندما خلقنا لنؤمن به جهزّنا وجهز كل شيء لنا لكي نصل، لكن كل القضية في منطقة واحدة وهي منطقة الفطرة، هذه الفطرة هي التي تزيدها وتبيّنها وتشرحها وتفهما. فتحكمك هذه الفطرة، فيتكوّن القلب ويتكون العقل، فيأتي القلب السليم، ويأتي العقل الذي يعقلك عن الخطأ.

فهذه المسائل كلها موجودة في كتاب الله وبوضوح، يعني اقرأ أوائل سورة يونس لتتصور كيف جعل الله الشمس والقمر آيتين توصلان الخلق إلى أن الموت سيأتي من ورائه الحياة، وكأنه يقال:

(أرأيت كيف تموت الشمس ويحيها الله؟ والقمر يموت ويحيه الله؟ هكذا الناس يموتون ويحيهم الله) وكل هذه التفاصيل التي ذكرناها كلها في كتاب الله وسنة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم.

إذًا ماذا نحتاج؟ نحتاج إلى أن نعرف الصغير، باختصار:

- الصغير هذا عنده فطرة جاهزة تمامًا لمعرفة الحق لكن باقي أن تقول له أين الحق.
- وأيضًا من ضمن الأشياء التي يجب أن تعلمها: أنه يحتاج إلى التكرار، أنا أشرت إلى هذا فقط من أجل التعليقات التي تأتي دائمًا وهي: (هو لا يفهم، لا يقتنع) هذه كلها كلمات خطأ، هو عنده إناء أنت أسقط فيه ما تقول، سيسقط وفي الوقت المناسب سيستفيد منه، لكن هو يحتاج أن تكرري تكرري حتى تلمع أمام عينيه المعلومة كأنها حين تقع، تقع بدون نور ثم بعد ذلك مع التكرار ماذا يحدث لها؟ تضئ بالنسبة له.

ننتهي الآن من الكلام حول حاجاته وهذا أصلًا ليس موضوعنا لكن كان لابد أن نتكلم فيه لأني سأُسّس دائمًا على هذا الكلام، التأسيس دائمًا على هذا الكلام، فالذي أقوله في أي نص هذا أين

ستضعينه؟ ستضعينه في فطرته السوية المستعدة، لا تظنون بالله إلا خيرًا، لا تظن بربك أن يأتي بالخلق ويأمرهم بالطاعة وهم لم يستعدوا لذلك. بل أتى بهم وهم مستعدون ليعرفوا من هو الله وجعل لهم الكون كله ناطقًا بمن هو الله.

وانظر للفتية أصحاب الكهف ما كان عندهم رسول، إنما قال تعالى عنهم: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[١] ﴿قاموا﴾ هنا بمعنى: تفكروا.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾[٢] ثم بعد ذلك: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾.

ما المقصود بـ ﴿قاموا﴾؟ بمعنى: تفكروا، ﴿قَامُوا فَقَالُوا﴾ ما هي النتيجة التي خرجوا بها؟ ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٣] يعني لا يمكن أن يكون الذي أوجدنا وأعدنا وأمدنا آباؤنا؛ لأنهم ماتوا! ولا عظماؤنا؛ لأنهم زالوا! ولا أحد يمكن أن يفعل ذلك إلا وهو يملك السماوات والأرض. لماذا؟ لأنهم فجأة لاحظوا أن

(١) الكهف: ١٤.

(٢) سبأ: ٤٦.

(٣) الكهف: ١٤.

السماء تُمطر ثم بعد ذلك هم يشربون ماءها، السماء تمطر والأرض تُنبت لهم، السماء تُمطر والدواب تشرب فيشربون شرابها، يعني هذا كله لك وهؤلاء كلهم غير مستفيدين، فمن المؤكد أن ربنا الذي ربانا هو رب السماوات والأرض كلها لأن السماوات والأرض كلها تسير من أجلنا، فمن المؤكد أن ربنا الذي ربانا هو رب السماوات والأرض. ثم يخرجون بنتيجة ماذا يقولون؟ ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[1] لا أحد يستحق المحبة والتعظيم إلا الله، إلا الرب الذي ربانا.

هذه مسألة تحتاج منا إلى كثير من التقليب والتفكير، كيف وصلوا إلى ذلك؟ وصلوا بالأداة الموجودة بداخلهم وهي الفطرة السوية. عرفوا أن الذي يربيهم ويعدّهم ويمدّهم ويدبّرهم هو الذي يستحق أن يكون الإله المحبوب المعظم، هم قالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ لكن ما صلوا ولا صاموا، ما عرفوا الشرائع ولا يوجد في القصة كلها كلام عن شرائع فعلوها، إنما في القصة يوجد محبة وتعظيم اضطرهم أن يخرجوا من ديارهم ويهاجروا إلى الله.

---

(١) الكهف: ١٤.

إذًا هذه الفطرة وأنتم تعرفون أن هؤلاء شباب صغار، معنى ذلك أنهم كان عندهم سؤال مُلح: من يملك الملك، من يدبر، من يعطي؟ من يمنع؟ كل هؤلاء الذين يعطون ويمنعون يراهم يزولون. نحن متأكدون أن هؤلاء لا يعطون ولا يمنعون لأنهم بأنفسهم يُعطَوا ويُمنعوا. هذا التفكير الذي وصلوا منه إلى الحقيقة حاجة ملحّة موجودة في كل الناس، يعني هؤلاء لم يكونوا أنبياء ولا مرسلين، ولا ملهمين ولا مُحَدَثين ولا كان لهم رسول، إذًا ماذا تفهم؟ ما الذي أوصلهم إلى ذلك؟ فطرتهم السوية والآيات الكونية حولهم. وهذه الفطرة السوية والآيات الكونية لازالت إلى قيام الساعة أهم شاهد يوصل الإنسان إلى الإيمان؛ فإذا وصل للإيمان دلّه الله كيف يعبده ودلّه على رسالة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.

وهذا كان الكلام عن "ماذا يملك هذا الصغير؟" وبقي علينا الآن أن نكمل جمل الحديث:

في مقدمة الحديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «كُنْتُ خلفَ رسول الله -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- يومًا فقال: يا غلامُ إنِّي أعلمُكَ كلماتٍ».

واتفقنا على الفوائد من ذلك وكيف أن الرسول الكريم -صلَّى الله عليه وسلَّم- يخص ابن عمه الصغير بهذه الكلمات والكلمات لا يُقصد بها الحروف ولا يُقصد بها التهجئة ولكن الكلمات يعني هذه المعاني العظيمة المحبوسة وراء الحروف والكلمات والجمل.

فيقول له: «احفظِ اللهَ يحفظْك».

وكنا ناقشنا ما معنى احفظ الله، وهذا شرف عظيم أن يقال لك: «احفظِ اللهَ» يعني: احفظ دين الله، ودين الله محفوظ ومنصور بنا أو بغيرنا لكن من الشرف أن يُقال لك: (احفظ الله في نفسك) والمصلحة عائدة عليك؛ فالله لا ينتفع بطاعة الطائعين، ولا يضره عصيان العاصين، إنما احفظ الله -كما اتفقنا- احفظه في عقيدتك، أي في قلبك وفي جوارحك، احفظه في عقيدة التوحيد واحفظه في طاعته، فلا تستغل عطية الله إلا فيما يرضي الله فتكون لك غنيمة. سواءً كان هذا في قلبك أو في جوارحك. يصبح قلبك أمانة عندك، لا يصلح أبدًا أن تلعب به وتُدخل فيها الشبهات والبلاءات والمناظر! وانظر كيف يلعبون بسمعهم وبصرهم! يعني ينامون على باطل، يسمعون شيئًا من الباطل، فيصبحوا ماذا يقولون؟ يقولون هذا الباطل، احفظ

قلبك لو دخل الباطل استعمره، وما يجتمع الباطل والحق في قلب المؤمن، لابد أن يغلب أحدهما الآخر، قد يجتمع الحق والباطل، لكن هذا في السلوك، قال تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾[١] فهذا في السلوك لكن في القلب لا يوجد إلا الحق أو الباطل.

هذا بالنسبة لـ «احفظِ اللهَ».

أمس شرحنا هذه الجمل واتفقنا أن اليوم نتكلم عن الجمل المقابلة، ما جزاء أن تحفظ الله؟ يحفظك.

ما جزاء أن تحفظ الله؟ تجده تجاهك.

هيا نبدأ بالمصلحة الأولى ثم المصلحة الثانية، هذا مرة أخرى من تفضّل الله علينا ومن كرم الله علينا وهذا الكلام يحتاج أن يسبقه تأكيد للصغير أن الرب العظيم كامل الصفات يمنّ على خلقه، فإذا أحسنوا التعامل مع ربهم أكرمهم وأعطاهم وشكر لهم حسن التعامل فهو الغني وهو الشكور.

نحن متفقون في هذا الحديث أن فيه قسمين: قسم القضاء والقدر وقسم كيف أعامل الله.

---

(١) التوبة: ١٠٢.

أي تحت عنوان: كيف أعامل الله؟

إذا أحسن الصغير معاملة الله؛ الله يعامله بكرمه وشكره فيشكر له ما وقع منه من حفظ فيحفظه. معناه ماذا سنعلمه عن الله؟ سنعلمه عن الله أنه غفورٌ شكورٌ يغفر لك التقصير في الحفظ، ويشكر لك حفظك لدينه ولو كان قليلًا، معناها: نحن عندما نقول له: (مطلوب منك أن تحفظ الله في قلبك وفي جوارحك والجزاء أن الله يحفظك) قبل أن أتكلم عن تفاصيل الجزاء لابد أن يعرف: من هو الله؟ يعلم أن الله غفور شكور:

غفورٌ بمعنى: يغفر لك التقصير.

شكورٌ بمعنى: يشكر لك العمل.

كلَّما زاد عملك أي كلَّما زاد حفظك لقلبك ولجوارحك كلَّما زاد حفظ الله لك. يعني تعمل قليلًا؛ يشكر لك هذا القليل. تعمل أكثر؛ يشكر الله لك هذا الأكثر. بمعني كلَّما زدت حفظًا؛ زاد حفظه لك فيشكر لك هذا الحفظ للدين بحفظه لك، ويشكر لك هذا الحفظ للدين بأن يغفر لك حتى التقصير الذي يمكن أن يكون في الحفظ، فنحن أهم شيء ندور فيه: أن نعلمه كيف يعامله الله؟

نأتي الآن: كيف يكون شكر الله له في أن يحفظه؟

يحفظ عليه ماذا؟ يحفظ عليه ما تطيب به دنياه ويحفظ عليه ما يُصلح له آخرته، فأهم شيء في الحفظ هو يهتم به ونحن نهتم به: أن الذي يحفظ الله؛ يحفظه الله من الشُّبه. يحفظه الله من الزيغ. وعندما تنظر إلى هذه المسالة بالعكس ستقول: (إن الذي يقع في قلبه شُبهة أو زيغ أو ضلالة. ماذا فعل؟ لم يبدأ بحفظ الله في قلبه أو في بدنه. مثلًا لنقل أمثلة واضحة: عندما يحدث انحراف مثل اللواط أو السّحاق أو غيره من هذا القبيل، يصير انحراف ويأتي هذا يقول: لا أستطيع أن أترك هذا الشيء، نقول: (أنت بدأت بأنك لم تحفظ الله في جوارحك ماذا كان الجزاء؟ أن الله ما حفظك، فتجد نفسك تتدهور تتدهور من سيء إلى أسوأ) أنت ابتدأت المسألة! مثلًا أحد يأتي يقول: (أنا دخلت لي شبهة في قلبي) في قلبه في دينه في مسألة القضاء والقدر، في خلق الله للعباد، في مسألة في الهداية -مثلًا- دخلت له الشبهة. ما هي المشكلة؟ أنت ما ابتدأت بحفظ قلبك وإلا فهناك أناس ماجوا في الشبه.

والصحيح أن يقول: (أنا لا أحتاج نقاش في هذا الموضوع أنا قلبي ثابت على الحق، أعرف تمامًا الطريق) لماذا لا تعرض على مثل هذا الشبهة أو الشك؟ هو ابتدأ بحفظ قلبه، هو ابتدأ بطاعته لله. فكان الجزاء: أن يُحفظ قلبه من الشبهة، من الإلحاد، من هذه البلاءات. حفظ جوارحه ما مد بصره إلى المحرم، ما سمع المحرم، ما تصرف كذا وكذا من التصرفات، ما نظر، ما تابع، ما خان بعينيه، فيُحفظ من إثارة هذه الحاجات، يُحفظ من نفس الإثارة! حتى هذه الإثارة ما تدخل له. وحتى الحاجات الطبيعية يُكفى شرها بسبب أن هو ابتدأ بالحفظ.

فهذا كله الذي يموجون فيه الناس، بدايته من عندهم؛ فمن أجل ذلك يأتي هذا الصغير يقول: (أن أحد اعتدى عليّ، أحد فعل بي كذا) نقول له: (أنت في حفظ الله إذا حفظت الله؛ حفظك، الحفظ من عند الله وحتى عندما يحصل لك ما يحصل لابد أن تراجع حفظك أنت لله.)

هذا الكلام مهم جدًا لكل الأعمار لكن أكثر عمر مهم جدًا له هذا الكلام سن من ٩ إلى ١٥ سنة، مهم جدًا المناقشات التفصيلية، نبدأ نتناقش بالتفصيل، نقول: (تمد عينك؛ تكون

هكذا النتيجة، تمد سمعك؛ هكذا تكون النتيجة، تجد ابتلاءات ومصائب) وكلَّما كبُر كان النقاش أكثر وضوحًا، من أجل أن يفهم أن مسئوليته: أن يحافظ على نفسه.

الأصغر دائمًا نقول له: (انتبه على قلبك -مثلما اتفقنا- ماذا يصير في قلبك نقطة بيضاء، أو نقطة سوداء؟) يعني الإجمال بالنسبة للصغير وكلَّما كبُر يكون الكلام على التفصيل.

نأتي إلى النتيجة الأخرى:

«احفظِ اللهَ تجدْهُ تِجاهَك».

هذا من أكثر المطالب التي يطلبها جميع الناس والصغير يحتاجها جدًا لكن لا يعلم كيف يعبر عنها، ما معنى «تجدْهُ تِجاهَك» أولًا؟ يعني تجده معك، يسددك، ينصرك، يدلّك، يرشدك، يطمئنك.

فهذه المسألة كثير حتى الكبار يشعرون بالحاجة لها؛ ولكن لا يستطيعون أن يعبروا عنها، يعني دائمًا الشعور بالتيه كالذي استهوته الشياطين قال تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾[1] الحيرة لا يعرف يذهب إلى هنا أم إلى هناك،

(١) الأنعام: ٧١.

يذهب مع هؤلاء الأصحاب أم مع هؤلاء، يكلم هؤلاء أم لا يكلمهم، ما يعرف من هو؟! في أحيان كثيرة يتوه في نفسه! فهذا التيه من الصغر إلى الكبر والناس يعيشونه. دائمًا يحتاج الناس - وهم مشتركون في حاجتهم- إلى ركن شديد يلجؤون إليه. يحتاجون إلى أن يهتدوا في كل شأنهم، في الأمر الصغير والكبير لا يعلمون ما هو الصواب! في الصغير والكبير يتيهون يعني أشتري أم لا أشتري؟ أقنع أم أشتري أكثر؟ أقتحم أم لا؟ أكن شجاعًا أم أكن جبانًا؟ أتقدم أم أتأخر؟ كل هذه قرارات كل إنسان تائه فيها الصغير والكبير. فنحن نقول له: (أنت عندما تحفظ الله؛ تجده تجاهك) وهذا يشبه الحديث القدسي الذي فيه: «فإذا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[1] هكذا حتى يصبح حكيمًا يستطيع أن يتصرف، يعرف كيف يخرج نفسه من الأزمات، ونحن أكثر شيء يضرنا: أن نأتي في موقف نقول: (تكلمت بدون شعوري! ورددت عليها لأني كنت غاضبة وما تمالكت نفسي، ما اهتديت كيف أتصرف معها) أو تقول: (لو كنت تصرفت هكذا لكان أفضل!)

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

ونبقى في الدوامة طوال حياتنا فأقول: (أنا أسيء التصرف، أو أجد نفسي لا أتصرف بصورة جيدة) مثلًا أرى نفسي أني كان المفترض أن أدافع عن نفسي وما دافعت أو ما أتكلم وتكلمت...كل هذه الحيرة يكفيك فيها أن تحفظي الله فيكون تجاهك يسددك، ينصرك ويوفقك، ما تجد نفسك في الأرض حيرانة؛ ولذلك الله تعالى يقول: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يمشي به في الناس﴾[1] وهذا أكثر شيء يخيفنا: كيف نمشي في الناس؟ هل يصلح هؤلاء أن يكونوا أصحابنا أم لا؟! هل يصلح هؤلاء أن يكونوا بيئتنا أم لا؟! يصلح أن نتعلم هذا أم لا؟! كل هذه القرارات المتعبة في الحياة قطعها أني أنا أعلمه: (أنت احفظ الله في قلبك وجوارحك والنتيجة: أن الله يسددك وينصرك ويدلك ويوفقك ويجعلك تقول الحق.)

لكن حين لا يراقب الله ولا يلاحظ حفظ الله ولا يطلب من الله التسديد النتيجة دائمًا: أنه يبحث عن مكانه عند الناس ويحسن ويحسن ويفعل للناس ويقول: (غدًا سينبهرون حين يرون عملي!) ويفكر فيهم وفي رضاهم ويصبح الصباح ولا أحد يرد عليه!

(١) الأنعام: ١٢٢.

ويشعر أن الناس لا يقدرونه وتبدأ معركة تقدير الذات ويقول: (الناس لا يحترموني والناس لا يعرفون مقامات الناس) وندخل في معركة طويلة وطوال حياته إما يلزم الانسحاب وينسحب عن المجتمع وإما يلزم المواجهة والمصادمة ومحاولة من يريد أن يأخذ رزقه من فم الأسد ويبقي في معركة طوال الحياة! لأنه في تصوره أن المسألة لا تأتي إلا بالقوة وهو كان في غنى عن هذا كله لو حفظ الله في نفسه فيحفظه الله.

هل هذا الكلام يقال للصغير؟ نعم، يقال للصغير والكبير. نقول: (أنت عندما تحفظ الله؛ الله يسددك ويجعلك تقول الكلام الصحيح) في أحد القصص -الظاهر أنها قصة مترجمة أجنبية- يصورون الطفل أنه يقول: (في فمي بركان) وكأن في فمه بركان لابد أن يتكلم. وفي آخر القصة -طبعًا هم يتجهون بنا اتجاهًا كما يريدون- أنه يستطيع أن يصبر ويسكت نفسه! حتى ما أبرزوا قيمة الصبر ولكن كانوا يشيرون إليها من بعيد، لكن مثل هذه المفاهيم التي يطرحونها على الصغار معناها أن كل الناس عربهم وعجمهم مسلمهم وكافرهم يشعرون بأي شيء؟ يشعرون أن هذا الصغير يحتاج أن يوجّه فيما يقوله وفيما يفكر فيه، فعندما يفهم أن هذا الكلام الذي تتكلم به محسوب عليك

وهذا الكلام مكتوب عليك، وحتى تكون صاحب كلمه جيدة ولا تتكلم إلا في الوقت المناسب ولا تضع نفسك في موقف حرج ولا تتكلم كلامًا لا يليق ماذا تفعل؟ احفظ الله ستجده تجاهك.

هذا المفهوم وهو صغير لا يعرفه بالتفصيل، لكن يبقي معه قاعدة وعندما يكبر يبدأ يعرف التفاصيل، لابد أن تتصوروا أن أرض فطرته تأخذ بذور الحق، ويسقيها الله له فتكبر فتُخرّج هذه الثمرات فهو في البداية يأخذ قوانين وهذه القوانين تنبت وتخرج.

لو أنا أحمل هذا الكلام؛ بسهولة وفي المواقف المناسبة سأُوفق وسأتكلم وسأسدد، ولو لم أحمله فلن أستطيع أن أمثّل دور من يرشد ويعلم! لابد أن تحمليه بنفسك، تشعري أن التسديد والتوفيق من الله والركن الشديد هو الله والخروج من التيه من عند الله.

نأتي إلى المسألة الثالثة:

(وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ)

واتفقنا أمس على جزء مهم: أن اسم الأول والآخر من الأسماء المهمة جدًا للطفل، منذ صغره لا بد أن نقول له: (أول ما تحتاج شيئًا؛ افزع إلى الأول الذي ليس قبله شيء) ودائمًا وبتكرار نقول

له: (ربنا هو الأول الذي ليس قبله شيء، ربنا هو الأول الذي ليس قبله شيء، وعندما تحتاج -وطبيعي أنك سوف تحتاج- ماذا سيكون؟ المفترض أن تفزع إلى الله الذي ليس قبله شيء) وهذا الكلام يكون في الطفولة.

وكلما كبُر من٩ سنوات إلى ١٥ سنة نبدأ نقول: (لابد أن تفهموا أيها الصغار أن الله سبحانه عندما أوجدنا في الحياة، وهو -سبحانه وتعالى- اختبرنا بالوجود في الحياة ونحن نعلم أنه سبحانه على كل شيء قدير. وهو قادر أن يعطيك كل ما تريد؛ لكن أنت هنا في اختبار. كيف يأتي هذا الاختبار؟ يُنشئ لك الحاجات حتى تُنشئ من عندك الطاعات) وهكذا يُفسر: لماذا لا تأتيني الأشياء ما دام الله على كل شيء قدير؟ لأننا أول ما نعلمه أن الله على كل شيء قدير وأن الله مالك كل شيء، ماذا يقول؟ (لماذا لا يعطيني) فأنت لابد أن تؤسس عنده هذه الحقيقة وخاصة عندما يقترب من سن البلوغ من سن ٩ إلى ١٥ سنة ضروري تتضح، الذي لم يتعلم من قبل وعرف لابد أن يتعلم ويعرف اليوم أن الله يُنشئ لك الحاجات لتنشأ منك الطاعات. يعني أنت لماذا تحتاج أن تشرب وتأكل وتُكسى وبيت وسيارة وأحد يوصلك ومدرسة؟ لماذا يحتاج الناس كل هذه التفاصيل والله

على كل شيء قدير، لماذا لا يعطينا كل الأشياء -في تفكيرهم-؟! فالجواب: أنت جالس في اختبار، هذا الاختبار يقول إن الله يجعل قلبك يحتاج وينظر إليك ماذا ستفعل عندما يحتاج قلبك، ماذا ستفعل هل ستسأل الله أم ستسأل غيره؟ هل ستستعين بالله أم بغيره؟!

إذًا في هذه الجملة: «إذا سألتَ فاسألِ اللهَ» ما هو المطلوب من الصغير؟ أنه أول ما يحتاج يفزع إلى الأول الذي ليس قبله شيء، أول ما يريد أن ينجز شيئًا يستعين بالأول الذي ليس قبله شيء، أول ما يفعل الأشياء يلجأ إلى الأول.

هي كلمة سهلة وتحفظ بسهولة عند الصغير ولن يدخل في كثير من النقاشات معك، قولي له: (أول شيء في قلبك تفعله؛ تلجأ إلى الله) لا تنسي أنك لفت نظره إلى قلبه وهذا عماد في تربية المسلمين لأبنائهم، نحن في براءة مما يفعله أهل الكفر، أهل الكفر يقولون: (الجسد، اللذة، المال، الدنيا) كل نقاشاتهم حول هذا المحسوس، وكيف يصل إلى اللذة! أنتم من المؤكد تسمعون أنهم يعلّمون أبناءهم في المرحلة الابتدائية: كيف يصل إلى اللذة

الجنسية بدون أن يحصل من وراء ذلك حمل؟! لهذه الدرجة الدنو وهم أضل من الأنعام.

لذلك نحن من بداية الكلام استبعدناهم من تفكيرنا ونظرياتنا أو من النظر إليهم على أنهم قوم يُنظر إليهم في التربية وهم إلى هلاك اليوم أو غدًا أو بعد غد كما أهلك من قبلهم، لكن الكلام عنّا في أي شيء؟ في كوننا نعتقد اعتقادًا يقينيًا أن قلبنا أهم شيء فينا، وإذا كان الصغير التفت لقلبه كيف سأفهمه؟ سأقول له: (أنت أول ما تحتاج؛ بقلبك افزع إلى الله.) هو سيعرف أنه لن يحبس نفسه، لن يجلس في مكانه. لكن ماذا سيحتاج؟ يحتاج ثانية يلتفت لقلبه ويفزع إلى الله، ومثله إذا استعان.

بقي أنه كلما كبُر وأنت تكلمينه عن الله يقول لكِ: (الله على كل شيء قدير، الله مالك الملك. لماذا أحتاج؟ لماذا كلّما احتجت شيئًا لابد أن أسأل وأدعو؟!) لذلك لابد أن أدخل على هذا مفهوم الاختبار وأفهمه أن الحاجات يُوجدها الله والعبد ينشئ الطاعات، فإذا أنشأ الطاعة وصل إلى مراد الله.

إذًا حفظ الله وقيل له: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله) يعني في كل حاجة تحتاجها ابدأ

فاسأل الله، وهل هذا يعني ألّا يسأل الناس؟ الناس موضعهم واضح، مثال أنتِ معلمة يأتي الصغير يقول لكِ: (أريد أن ألعب في الرمل) هل يكون الحل عندك أن تقول له: (اذهب إلى المديرة أو المراقبة واطلب منها لتسمح لك أن تخرج)؟ ليس هذا هو الحل، الحل يبدأ أولًا أقول له: (اسأل الله والله يسخر لك، اسأله أولًا ثم اطلب من الناس، اسأله أولًا وكن على ثقة أنه لو قسم الله كان، ولو لم يقسم لك انتهى!) فكلّما كبُر كلّما اتضح هذا المعنى واستقر لكن هذا لا يعني أن طفل أربع سنوات وخمس سنوات لا يفهم، بل يفهم بوضوح خصوصًا في المواقف، هو الآن يفكر في الرمل فأي طريق ستعلمينه إياه سيأخذه، تقول له: (أول شيء افزع لربنا ثم بعد ذلك اذهب للمعلمة أو المراقبة) فسيمرن قلبه على أن يفعل حتى لو لم يفعل أو كان ضعيفًا في فعله لكن في نهاية الأمر إلا ويعرف أن قلبه له منزلة.

إذا سألت فسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، الاستعانة ومفهومها يدخل في نهاية الأمر أن كل الكلام عن الإنجاز نرميه وراء ظهورنا ونبقى حول مسألة واحدة: أن من طلب العون من الله أعانه الله وأعطاه. أعانه وأعطاه وهذا معنى اسم الله الآخر يعني الله هو الأول ماذا تفعل؟ تبتدئ بطلبه إذا سألت فاسأل

الله، الله هو الآخر فتسأله أن يعينك فيعينك ويعطيك، يعينك على الإنجاز ويعطيك ويسددك ويوفقك، يعطيك الثمرة.

كان هذا باختصار الحديث عن الاستعانة، سنأتي إلى الجزء الثاني وهو الذي فيه الصعوبة أكثر في المفهوم، ليست صعوبة ولكن مفهوم القضاء والقدر دائمًا حوله شبهة والناس يتكلمون عنه بطريقة ليست متقنة فتحصل الشبه عند الصغير.

سنتكلم عن سن رياض الأطفال إلى سن خمسة عشر سنة في مسألة القضاء والقدر، نناقش نفس عقيدة القضاء والقدر ونناقش شبهة واحدة فقط في مسألة الهداية لأن من سن ٩ و ١٠ سنوات نبدأ في هذه المشكلة: (ربنا ما هداني، ربنا ما جعلني أصلي...) هذه الكلمات التي تصدر منهم إلى سن ١٥ سنة وهم يتكلمون هذا الكلام ثم يمنة أو يسرة يأخذون طريقهم نسأل الله أن يرشدنا إلى الصواب وذرارينا وذراري المسلمين اللهم آمين.

(واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ)

نبدأ الأن نفهم مفهوم القضاء والقدر، وانظروا إلى هذه الكلمات التي من نور علمها النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لابن

عباس وهو في هذا السن، يقول النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لابن عباس -رضي الله عنه-: «واعلَم» هذا حرف العطف واضح جدًا فيه أن استعانتك وسؤالك لابد أن يكون مصحوبًا بهذا الاعتقاد. يعني هذا وهذا، استعانتك وسؤالك لابد أن يكون مصحوبًا بهذا الاعتقاد، ما هو الاعتقاد؟ «واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ» هذا الكلام له شقين: شق متصل تمامًا بما مضى يعني النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول لابن عباس: إذا سألت فاسأل الله ولا تسأل الناس، وإذا استعنت فاستعن بالله ولا تستعن بالناس، فكأن سائل يسأل: لماذا؟ لماذا أسأل الله ولا أسأل الناس؟ وأستعين بالله ولا أستعين بالناس؟ فالجواب: اعلم أن كل الناس الذين تريد أن تسألهم، كل الأمة كاملة لو اجتمعوا من أجل أن يعطوك سؤلك أو يعينونك ما فعلوا، فكأنه يقال له: (لا تضطر نفسك إلى ذل مسألة من لا يملك شيئًا، لا يعطيك ولا يعينك، لا تضطر إلى ذلك.) لكن الواقع يقول إننا تأتينا أرزاقنا من وراء الناس، فأولًا الشق الأول قال الحقيقة التي وراء هذا الواقع: في الحقيقة أن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوك لن ينفعوك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك. هذه هي الحقيقة، الحقيقة وراء ما

ترى، هناك جزء من الحقيقة لابد أن تفهمه من أجل أن تفهم تفسير هذا الذي يجري عندما تتعامل مع الناس، ما هي هذه الحقيقة؟ أنه سيكبر ويجد الناس يعطونه ويرى الناس يمنعونه، فكيف يُفسَر هذا؟ التفسير: أن هذا قد كُتب وأجراه الله على يد الناس اختبارًا لك، وأنت عندما تكون صاحب عقيدة صحيحة ما ترى الناس إنما ترى الله من وراء الناس، صاحب العقيدة الصحيحة الذي نبحث عنه الآن من رياض الأطفال حتى يصبح في سن الرشد، صاحب العقيدة الصحيحة يعرف يفسر هذه الأشياء من حوله، الناس لا يستطيعون أن يعطوك ولا يمنعوك وعندما يجرى على أيديهم عطاء أو منع، فالمؤمن مختبر أن يرى الله من وراء الناس ولا يرى الناس فيحجبوه عن الله.

وهذا الكلام الذي نناقشه لا علاقة له أبدًا لا بالمحاكم ولا بإجراء القضايا هذا ليس له علاقة، هذا الكلام له علاقة باعتقادك الذي يُسبب لك تفسير الأحوال ولكن إن قتل قاتل سنقول: (هذا قد وقع ويحاكم عليه) مع اعتقادنا أن هذا لم يقع إلا عندما أذن الله، وهذه مسألة أخرى لا تدخلنا في الإشكال.

ما هي عقيدتي التي أرى بها العطاء والمنع؟

عقيدتي التي أرى بها العطاء والمنع أنه في الحقيقة ما أعامل إلا الله، فأنت لا تعامل إلا الله، وأنت إن عاملت الناس فأنت في معاملتك للناس -يعني الناس أعطوك أو منعوك- في حقيقة المسألة أنت مبتلى في معاملتك للناس. هل يتعلق قلبك بالمعطي أو يقع في قلبك ما يقع على المانع أو أنك تؤمن أن الذي أعطى، أعطى بإذن الله وأن الذي منع، منع بإذن الله؟ هذا حتى يتحرك لابد أن يفتح عيونه، لا يكون هذا الاعتقاد طارئًا، لابد أن يفتح عيونه وهو يعتقد أنه يعامل الله من وراء الناس.

ولذلك في حديث النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- في دعائه: «حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ مَرْمَى»[1] يعني لا يوجد أحد إذا نظرت إلى الله و نظرت إلى معاملته أو احتجت شيئًا، ليس وراء الله مرمى، أحد أفكر فيه، ليس عندي أحد أبحث عنه وراء الله، الله وينتهي كل أمر والخلق هم الذين جعلهم الله أسبابًا، من ورائهم تأتي عطايا الله.

(١) موطأ مالك (١٦٣٤).

فهذه الحقيقة تجعل النفس هادئة في التعامل مع الخلق، بحيث عندما يأتيني شيء ما أتعلق بالناس، المحمود حقًا هو الله، وانظروا لعائشة -رضي الله عنها- في حادثة الإفك نزلت براءتها فقالت أمها: «قُومِي إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقُلتُ: لا واللَّهِ، لا أقُومُ إلَيْهِ، ولَا أحْمَدُ إلَّا اللَّهَ»[1] ماذا فعلت؟ قامت فسجدت لله، وليس وراء الله مرمى، وهذا رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- ومع ذلك نحن نعامل الله سبحانه وتعالى.

فيجب أن يبقي هذا مُركزًا في نفسه: (الله أعطاني، الله منعني، الله رزقني.) وهؤلاء الناس؟ الله كتب أن تجري على أيديهم هذه الأرزاق، وفي البداية بالنسبة له المفاهيم ليست صعبة، الصغير ميزته أنه يأتي بفطرة سوية حتى وإن ناقشك في المفاهيم إنما هو نقاش من يريد أن يثبّت ما تقول. أبدًا ما يعترض وحتى اعتراضاته -نحن نتكلم عن سن الطفولة ورياض أطفال- تكون بسيطة كلمات بسيطة بكلام بسيط يقتنع بما تقول.

فهو ماذا يحتاج منا؟ يحتاج أن نكون نحن نحمل هذه الحقيقة. إذا أعطيته وصدقها وكان الأمر ثابتًا في قلبه مع دعاء

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦١).

الوالدين ودعاء المربي يأتي يقرأ الحياة كلها على هذه القواعد، يقرأ كل شيء على هذه القواعد، فإذا قرأ كل شيء على هذه القواعد وجد كل شيء يُزيده ثباتًا، فهو عامل الله فعامله الله ورأى الله من وراء الناس ورأى أن الله هو الذي أعطاه هذا، ساق له هذا، منع عنه هذا وبعد ذلك سنعلمه كلمات يستعملها: (ربنا سخر لنا هؤلاء، ربنا يسر لنا على يد هؤلاء) حتى يفسر الوقائع، قال رسول الله في الجزء الثاني: «إِلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ» لابد أن يعلم كيف يفسرها: (سُخّر لنا، يُسّر لنا، رزقنا الله.) وفي الطرف الثاني: (منعنا الله، حبس عنا الله وما يحبس إلا الشر، لا يأتي منه إلا الخير.) كل هذه الكلمات مع المفهوم الثابت في القلب ستفسر له الحياة.

وهو أكثر مشكلة يعاني منها: (لماذا لا يأتيني ويأتي لهؤلاء ولا يأتي لي؟ لماذا عندما أطلب لا أجد؟!) فهذه المشكلة لابد أن تُحل -كما اتفقنا- بقاعدتين:

القاعدة الأولى: أن أقول له: (أنت في اختبار والحاجات هي موطن الاختبار.)

القاعدة الثانية: أن أقول له: (أنت لو رجوت كل الناس والله لم يكتب لك؛ لم يأذن، لم يأذن لك إذًا لن يأتي.)

ولذلك ما أكبر الخطأ الذي يستعملونه الأهالي في كونهم يستعملون كلمة: (إن شاء الله) في غير مكانها تعليقًا لا تحقيقًا! مثلا لا تريد أن تذهب، أو لا تريد أن تخرج فيسألك: (هل سنخرج؟) تقولين: (إن شاء الله) وأنت لا تريدين أن تفعلي هذا الفعل! يسمونه عندهم: (الارتباط الشرطي) أصبحت كلمة: (إن شاء الله) بمعنى: (لن نفعل!) هكذا أصبحت عندهم! وهذا طبعًا إفساد منك لعقيدته، لا تقولي مع الطفل: (إن شاء الله) أو (بإذن الله) إلا مع المتحقق من الأمور، واستعملي كلمة: (لا أدري) ليس فيها مشكلة، يقول لكِ: (هل سنذهب أم لا؟) قولي له: (لا أدري) وانتهى الأمر، لكن تفسدين عليه مشيئة الله وإذن الله فهذا إفساد لعقيدته!

على كل حال، هذا الأمر واضح كيف وجوده في المجتمع.

نعود مرة للكلام حول مسألة القضاء والقدر ومعاملتنا معه، هنا الكلام حول مسألة القضاء والقدر في الحديث يدور حول حاجاتك، نفعك، انتفاعك.

الشق الثاني من عند قول «واعلم» متصل بالشق الأول.

الشق الأول: لا تسأل الناس ولا تستعن بهم. لماذا؟ لأن عليك أن تعلم أن الناس لو اجتمعوا على إعطائك سؤلك أو إعانتك لا يستطيعون.

هل لا يستطيعون أبدًا؟ لا يستطيعون إلا ما قد كتبه الله لك، هنا يأتي النقاش عن ما كتبه الله لك، ما كُتب.

الشق الأول واضح نأتي الان في الكلام حول ما كُتب.

(حول ما كُتب) نقول باختصار: إن هذه الجملة لابد أن تبقى كما هي ويعرف الصغير أن أقداره وأرزاقه قد كُتبت قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف عام. الأرزاق والأقدار قد كتبت، أين الاختبار ما دامت الأرزاق والأقدار قد كتبت؟ الاختبار: (كيف نسعى لنصل إلى هذه الأرزاق؟) وهذه نقطة مهمة جدًا ودائمًا تُشكل وعلى قدر تكرارها وبيانها مالنا إلا أن نسأل الله أن يشرح صدورنا لفهمها، هذا الأمر متفق عليه: الله قد كتب كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام. ما هو اختبارنا نحن؟ اختبارنا أن نسعى لأقدارنا ولما قُدر علينا بالطريق الذي يرضي ربنا، نختار كيف نصل إلى الأقدار. نختار هذا الاختيار، انظروا حتى يختصر المعني في الحديث قالَ رَسُولُ اللهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- : «عَجَبًا لأَمْرِ المؤمنِ إِنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ

ليسَ ذلكَ لأَحَدٍ إلا للمُؤْمنِ إِنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإِنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ»[١].

وهنا سنشرح الأقدار وكيف تكون المعاملة مع الأقدار:

«إِنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ»: السراء قُدّرت، فماذا يفعل؟ «شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ».

إذًا هي ثلاث مراحل:

١- تنزل عليك الأقدار سراء كانت أو ضراء. سراء هذه أو ضراء هذه أمور قد فُرغ منها.

٢- شكر وصبر هذا فعل من؟ فعلك أنت. هذا هو المطلوب منك أنت.

و"شكر" و"صبر" لها صور كثيرة، الآن هذا البيت الذي يريد أن يشتريه، هذا المكان الذي يريد أن يقيم فيه، هذه الساعة التي يريد أن يشتريها، هذا الجوال الذي يريد أن يشتريه...كُتب قبل أن يخلق الله السماوات والأرض، هل هو رزقك أو ليس رزقك؟ لكن بقي ماذا؟ بقي كيف تسعى إليه، ماذا تفعل؟ هل تصبر أم تقول: (أنا ليس لي حظ)؟ أم تصبر حتى يأتي الوقت الذي يأذن به الله، وتطلب رزقك من الله، وتأخذ مالًا حلالًا ولا تحتال على هذا

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

وتكذب على هذا؟ أو أنك تفعل خلاف ذلك؟! هل تصبر من أجل أن تصل إلى المال الحلال؟ أم تكفر ولا تصبر؟ هذا الذي يُحسب عليك، هذا الذي تحاسب عنه: ماذا تفعل لتصل إلى رزقك؟ ماذا تفعل لكي تصل إلى مرادك؟ ماذا تفعل حين ينزل عليك أمر الله؟ ماذا تفعل؟ لا يوجد إلا اختيارين في كل شيء، ولا يوجد إلا نوعين من القدر في كل شيء، ولا يوجد إلا اختيارين أمام النوعين، لا يوجد إلا أن يصيبك سراء أو ضراء. ولا يوجد إلا أن تشكر وتصبر، أو تكفر فلا تشكر ولا تصبر! لا يوجد اختيار آخر.

لماذا يقال لك القدر مكتوب؟ من أجل أن تصبح مطمئنًا تمامًا وتتصرف بالطريقة الصحيحة لأنه في النهاية لا يستطيع أحد أن ينزع منك هذا. أريد منك أن تتصور مدينة جدة وسيارات الأجرة، الآن شخص مؤمن بالله ومؤمن أن رزقه المكتوب له سيأتيه وشخص يشعر أنه سيأخذ رزقه من فم الآخرين. وكلاهما معهما سيارة أجرة، قولوا لي ما هو مسلكه وهو سائر الآن يبحث عن عميل ليركب معه كيف يتصرف؟ المؤمن كيف يتصرف؟ يمشي هادئًا ويعرف أنه لو رزقه سيأخذه، وليس عندما يرى عميل من هناك يدفع هذا على هذا حتى يصل له؟! لا لن يفعل ذلك سيكون هادئًا ويسير في نفس سيره لكن ما هي صفات سيره؟

هادئ مطمئن أنه إذا كان مكتوبًا له، فلن ينزعه أحد؟ تخيل هذه المسألة بكل وضوح وتخيل العكس أيضًا، تخيل لو أنه شعر أنه لن يسمح لأحد أن يأتي ويأخذ منه رزقه، ماذا يفعلون في الشوارع حتى يصلوا إلى هذا؟! وهذه الشوارع هي نفسها حياتنا، كيف عندما يعلم أحد أن آخر سينزع رزقه أو سيأخذه أو يضاربه عليه؟ يدفع هذا ويكذب على هذا ويغتاب هذا! مثلًا أنت تحب أن تكون صورتك عند أحد أنك أهم شخص، عند هذا الزوج، هذه الصاحبة...أيًا كان، فماذا تفعل؟ حتى تحافظ على هذه الصورة تدافع كل الناس وتشوه صورة الناس وتفعل وتفعل حتى تحافظ على مكانك في قلبه فيصبح الصباح وقد قُلب قلبه عليك! لأن هذه القلوب بيد الله وليس بسعيك أنت.

فالمقصد لماذا نُخبَر أنه قد كُتب؟ حتى ننجح في الاختبار حتى نقول: (كن هادئًا، هذا الذي كُتب لك سيصلك) لكن أنت عندما تريد أن تصل إليه وأنت حارث همام، كن هادئًا، مطمئنًا، فلا تنسوا أن صفتنا: "حارثون، همامون" يعني لا يوجد أحد مهما قلنا له: (إن كل شيء مكتوب) عندما يجوع سيجلس وما يأكل! مهما كان مؤمنًا بالقضاء والقدر لأنه حارث همام سيفهم أنه لم

يقل له: (لا تتحرك) بل يقال له: (تحرك ولكن بهدوء وكل ما تحتاج اسأل الله).

فالإيمان بالقضاء والقدر يُنزل طمأنينة على الإنسان غاية في الطمأنينة، ما في حسرة، قال تعالى: ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1] أنت الآن يقال لك: (تعال بسرعة نصف عمرك سيذهب إذا لم تأتِ تشتري من هنا) المهم تبذل وتذهب وتجد الأمر انفض! أنت ماذا تقول لنفسك؟ قد تبكي وتبكي، وتقول: (لو أني تعجلت، لو هذا فعل، لو هذا ترك ولو...ولو...) وتظل أيام وأنت متأثر بهذا!

أو تقول: (لو كان نصيبي لأتى، لو كان مكتوبًا لي لكنت وصلت في التوقيت المناسب، أنا بذلت ووصلت فلم أجد؛ إذًا لم يكتب لي).

لماذا يتحرك قلبي تجاه شيء لم يكتب لي؟ لماذا قلبي يحتاج شيء وبعد ذلك لم يكتب لي؟ حتى تصبر فتؤجر من أجل أن يراك الله حيث يريدك. وهذا من الرضا به، وما أطيب الرضا به، أنت مختبر هنا.

ولذلك دائمًا نضرب مثالًا متصور اليوم بسهولة:

---

(١) الحديد: ٢٣.

هذه الدنيا التي يجري الناس كلهم ورائها بكل ما فيها سماها الله -سبحانه وتعالى- "زهرة الحياة الدنيا" تشبه هذه المجتمعات الافتراضية التي يعيشها الناس في أدوات التواصل. أنت تكونين في أدوات التواصل ويكون معك مجموعة من الناس الذين تحبينهم. وبعد ذلك يرسلون وردة جميلة أو يرسلون قلبًا في هذه المجموعة التي أنتم فيها. أرسلوا لزميلتك ولم يرسلوا لك الوردة. فتغضبي، تجدين الناس يقولون لك: (كبري عقلك ماذا تعني هذه الوردة؟ لماذا الحزن والغضب على هذه الوردة؟!) لماذا يقولون لك هذا؟ لأن هذه الوردة لا ينفعك وجودها ولا يضرك فقدانها؟ هل تشم رائحتها؟ هل غيرت في حياتك؟ الحمد لله كل الذي في الدنيا يشبه هذا، كلها ورقة اختبار، انظري كيف سماها الله "زهرة الحياة الدنيا" هذه الدنيا لو تساوي عند الله جناح بعوضه ما سقى منها كافرًا. لماذا نحن نقول هذا الكلام طوال الوقت (أن الدنيا لو كانت تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقي منها كافرًا) وكأنه يقال: لا يجب أن ينزعج أحد عليها ولا يُغضب من أجلها وهي فقط ورقة اختبار، تتمنى فلا تجد؛ فتصبر؛ فيشكرك الله. تتمني؛ فتجد؛ فتشكر؛ فيشكرك الله. هكذا الحياة، وما أسهل هذا الفهم عندما تفهمينه، وما أطيب الحياة التي تأتي من ورائه!

لا يضارب الطفل ولا يحارب ولا تظنه لن يصير عنده همه، لا أبدًا! الإنسان بطبيعته "حارث همام" فسيسعى وينشرح صدره للعمل ويرضى بما قسم الله له. ويقول لنفسه: (أنا سأفعل ما يرضي الله، أود أن يراني في المكان الذي يقبلني فيه) وأنت إذا احتجت الحاجة هذه موجودة في النفس لن تقف النفس عن الحاجات فاعبد الله بهذه الحاجات.

وأنا أطمئنكم الصغير لن يحتاج في هذه المناقشات أكثر من ترداد المسألة ثلاث أربع مرات وبعد ذلك هو يبدأ يقول لك جملة ويريدك أن تكملي له كلعبة الكلمات المتقاطعة يبدأ الكلام ويريد منك أنت أن تكملي كل المفاهيم التي تعلمينه إياها.

بعدما يطلب منك التكرار الدائم يتحول إلى مرحلة أخرى، مرحلة الاختبار يختبرك بالكلمات المتقاطعة مثلًا كما في كلام أمس طوال الوقت تقولين له: (قلبك يصبح فيه نقطة بيضاء ونقطة سوداء، ويوم القيامة قلبك هذا يخرج ويراه الناس) فهو يرجع مرة ثانية يحدث الموقف فيقول لك: (ماذا يصير في قلبي) يريد منك أن تقولي، أن تكملي الفراغ، نقطة بيضاء ونقطة

سوداء و(يوم القيامة ماذا يحدث؟) يخرج ما في قلبك ويراه الناس...

انظري ماذا يفعل يمر بهذه المراحل يبدأ أولًا يؤسس المعني بتكراره ثم ينتقل فيقول جملة ويريد منك أن تكمليها. يريد أن يتأكد أن مبادئك لم تتغير وأن هذه المفاهيم هي الصحيحة التي فهمها.

إلى أن يصل قرب ٩ سنوات، عند ٩ سنوات يبدأ تظهر التغيرات البدنية خصوصًا للبنت أكثر من الولد يبدأ يدخل هذا الكلام الذي ربيتيه يدخل في الأعماق يبحث لا يصبح ظاهرًا في النقاشات ولكن البنيان دخل في الداخل أصبح بنيانًا، أما قبل تسع سنوات يريد منك أن تقولي له وتقولي وهو يكمل وأنت تكملي له كل هذا.

بعد تسع سنوات عندما يقتربون من البلوغ ينضج عقلهم وتفكيرهم سيفكرون بالضبط مثلما رسمت لهم والذي تركتيه فراغات في عقلهم ما يفكرون فيه؛ ستدفعين ثمنه! الذي تركتيه فراغات ما علمتيهم كيف يفكرون فيه سترين من الذي سيعلمهم كيف يفكرون فيه! أو يبقى هذا خواء يتعبونكِ حتى

يتأسس؛ لكن لا بأس نحن ليس لنا إلا الله، الله يعلمنا ما نعلمهم إياه.

سيبقي آخر أمر: مسألة الشبهة التي تدخل في مسألة الهداية.

هذه أكثر الشبه التي يتعرض لها خصوصًا الصغير أو الصغيرة إذا تلقفه أحد وهو يريد أن يدافع عن نفسه تقولين له: (قم صلِّ) يقول لك: (ربنا ما قدّر لي أن أصلي)، (قم اعبد الله) يقول مثل ذلك، يجد هذه حجة! لابد أن الحجة تقرع بالحجة، سأكلمكم الآن عن الشبهة التي يلقيها شياطين الإنس والجن على قلوب الشباب وهي مسألة: "الهداية والقضاء والقدر"

هم ماذا يقولون؟ يقولون: (نحن لا نهتدي إلا إذا شاء الله) ونحن نقول: (صحيح، أنت لن تهتدى إلا إذا شاء الله) لكن نريد أن نقول لك بوضوح (إن الله عليم حكيم) كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ستخرجك بفائدة مختصرة: "إن الله عليم بما في قلوب الخلق، حكيم في إعطائه للهداية" أنت لا يمكن أن

(١) الإنسان: ٣٠.

تشاء الهداية إلا إذا شاءها الله، الله يشاء ويأذن لمن يعلم أن قلبه صادق في إرادة الهداية ولو كان في آخر الدنيا.

الله يمنع مَن مِن الهداية؟ مَن يعلم أن قلبه كاذب لا يريد الهداية ولو كان يجاور الحرم، وهذه المسألة ترونها بأعينكم.

هيا نأتي بإثباتات على ذلك حتى يتصورها:

تقول له الله يخبرنا في كتابه ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ أي طلبوا الهداية ﴿زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[١].

في مقابل هؤلاء ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٢].

معنى ذلك أن البدايات من إرادات المرء، فإذا صدق المرء في إراداته سبب الله له أسباب الهداية، الصدق يجعله يأخذ الأسباب التي تأتيه، يعني أنت تكون صادقًا في طلب رضا الله، صادقًا في أن تبتعد عن ما حرم الله، فصدقك هذا يُعاملك الله فيه أن يُسبب لك أسبابًا تنجوا بها، يسبب لك أسبابًا تهتدي بها، إذا كنت صادقًا ماذا ستفعل في الأسباب؟ ستأخذها إذا أخذتها

(١) الصف: ١٧.

(٢) الصف: ٥.

جاء منه العون والعطية، يعني لا تجلس في البيت وتقول: (أتمنى أن يكون القرآن ربيع قلبي!) وتُفتح مدرسة تحفيظ بجوارك على رجليك تصل إليها، فتقول: (الأولاد والبيت) وتقول أعذار نقول: (هذا اختبار للصدق، إذا بذلت جهدك في الوصول إلى الحق الآن بعد ما سبّب الله لك أسبابه سيعينك ويسد ثغراتك، ويسد الناقص عندك لكن لا تتمنى على الله الأماني، لا يصلح أن تتمنى على الله الأماني) اليهود والنصارى ماذا قالوا؟ قالوا: (لن ندخل النار، سندخل الجنة مباشرة) هذه تسمى "أمانيّ" هذه الأماني هل ستصح لهم؟ الجواب: لا.

معناها أن هذه الهداية تبتدئ من عند الإرادة فإذا أراد العبد سبّب الله له أسباب الهداية، أسباب الهداية هذه ماذا تكون؟ اختبار لصدق العبد، فإذا أخذ العبد الأسباب أعانه الله وأعطاه الهداية، وإذا لم يأخذ الأسباب سيبقى في مكانه ويأتي الضلال؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ ولذلك ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾[1] يعني هو داخل بكل قوته في الضلالة يقول: (إذا ربنا أراد سيخرجني) أنت في الضلالة،

(١) مريم: ٧٥.

أنت ليس عندك صدق في إرادة ترك الضلالة. يعني يأتي يقول: (أنا تائب ولا أريد أن أرى مقاطع بعد ذلك ولا أفعل ولا أفعل) جميل لكن هناك أسباب لابد أن تأخذها من أهم هذه الأسباب: أن تمنع جوالك أن يجاورك في الليل، تمنع نفسك من أن تستخدم كذا وكذا من البرامج، عندما تحذف هذه البرامج من جهازك، وتحذف هذه المقاطع من جهازك تكون ابتدأت في طلب الهداية، لكن تكون كل المقاطع لديك وتقول: (أنا منتظر أن يهديني الله!) كذب هذا على الله. ولذلك انظروا يوم القيامة يُضرب بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهرة من قبله العذاب. من يدخل من هذا الباب؟ المؤمنون. ومن يبقي بالخارج؟ المنافقون.

هكذا في الدنيا الإنسان يطلب الهداية فإن صدق في أخذ أسبابها دخل باب الهداية. ما صدق يبقي بالخارج مع المنافقين فكما أن هذا السور يُضرب يوم القيامة بين المنافقين والمؤمنين يميز بينهم. ففي الدنيا توجد مواقف كثيرة تميز بين المؤمن والكافر، وتميز بين المؤمن والمنافق، نحن مشكلتنا المؤمن والمنافق، أما الكافر فهو متميز واضح بالنسبة لنا.

على كل حال هذا الجزء الأخير من الهداية وما يتصل بها والمشيئة سيكون موضوع النقاش في سورة الإنسان.

جزاكم الله خيرًا

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.